

# مناهج بحث الإمامة

## بين النظرية والتطبيق

محاضرات المرجع الديني

السيد كمال الحيدري

بقلم

الشيخ محمد جواد الزبيدي

يطلب من  
• مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام  
للفكر والثقافة

٠٠٩٦٤-٧٧٠٧٩٠٠٨٤٢

٠٠٩٦٤-٧٨٠٠٢٣٠٠٢٩

• مؤسسة الثقلين للثقافة

والإعلام

العراق - كربلاء - شارع باب  
القبلة

مقابل قاعة الرسول الأعظم

صلى الله عليه وآله

٠٠٩٦٤-٧٨٠٠٣٢٢٣٠٨

• مكتبة الإمام الباقر عليه السلام

العراق - النجف - سوق

الحويش - مقابل جامع الهندي

٠٠٩٦٤-٧٨٠١٢٦٣٥٧٩

• مكتبة القائم

العراق - بغداد - الكاظمية

المقدّسة - باب المراد

٠٠٩٦٤-٧٩٠١٩٩٢٧٢٠

## مؤسسة الهدى

للطباعة والنشر

لبنان - بيروت - الغيري -

مقابل سنتر الإنماء

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المقدّمة

الحاجة إلى بحوث الإمامة حاجة مهمّة ومستمرّة

مما لا شكّ فيه أنّ معظم الاختلافات والانقسامات في داخل المجتمع الإسلامي وفي مختلف المجالات الفكرية والسياسية والتأريخية والتي أدّت إلى وقوع حوادث دامية في كثير من الأحيان، إنّما ترجع في جذورها الأساسية إلى الاختلاف في مسائل الإمامة وشرائطها، التي طرحت بصور مختلفة ودوافع متعدّدة لم تزدها في كثير من الأحيان إلّا غموضاً وتعقيداً.

من هنا كانت الحاجة مستمرّة إلى البحوث العلمية التي تتحرّى الحقيقة في هذه المسائل بعيداً عن التعصّب الأعمى والدوافع والأغراض الباطلة، وتحاول البحث عن العوامل الأساسية التي أدّت إلى وقوع مثل هذا التضارب والاختلاف الخطير في فهم حقيقة الإمامة، والعمل على علاجه، ثمّ وضع هذه النتائج بين يدي من يتطلّع إلى معرفة الحقيقة في هذه المسائل وينشد ضالّته من خلال البحوث العلمية المنصفة فيها.

هذا، بالإضافة إلى وجود العديد من الدوافع والأهداف الأخرى التي تستدعي الخوض في بحوث كهذه، ومنها على سبيل المثال:

١. إن المؤمن بحاجة إلى المزيد من الأدلة والبراهين لبلورة تصوّراته وترسيخ معتقداته ليتمكّن بعد ذلك من طرحها والدعوة لها والدفاع عنها.

٢. وجود المشكك الذي لا همّ له إلا إثارة الشبهات حول الإمامة ومفاهيمها وإلصاق التُّهم والأباطيل بها والتي لا بدّ من الردّ عليها ودحضها وتفنيدها.

وهكذا شكّلت هذه الأمور وغيرها، ممّا لم يذكر، دوافع أساسية في طرح مسألة الإمامة والاهتمام ببحوثها المختلفة داخل الوسط العلمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. وجعلت الحاجة إلى مثل هذه البحوث حاجة أساسية ومهمّة ومستمرّة.

### أثر منهجية بحث الإمامة في اختلاف الأُمّة

ذكرنا سابقاً أنّ عمدة الاختلافات والانقسامات التي ضربت المجتمع الإسلامي إنّما ترجع في جذورها إلى الاختلاف الذي وقع في فهم مسائل الإمامة بصورة عامّة.

وقد ذكرت أسباب عديدة لهذا الاختلاف، ولكن ثَمّ من وراء هذه العوامل عامل أساسي هو (العنصر المنهجي) الذي يعدّ من

أخطر وأهمّ العوامل التي أدّت إلى ظهور هذا الاختلاف والانقسام في الأمة.

من هنا، يلاحظ المتابع لبحوث الإمامة التي طرحها سماحة سيّدنا الأستاذ كمال الحيدري حفظه الله، أنّه طالما يكرّر الحديث في مقدّمة تلك البحوث، عن (مناهج وطرق البحث) المتّبعة في دراسة موضوع الإمامة، وما ذلك إلّا لارتباط هذا الحديث بمطلب تأسيسي جديد تنبع أهمّيّته من أهميّة اطلاع القارئ واستيعابه لمناهج البحث المتّبعة في بحث الإمامة وخلفياتها، وتعريفه بالمنهج المختار والنتائج المترقّبة عن هذا المنهج والمترتبة عليه، مقارنة بالنتائج التي انتهت إليها المناهج الأخرى، وما أدّى إليه اختلاف هذه المناهج ونتائجها من حصول الاختلاف داخل الأمة ذاتها.

### فهرسة البحث

من هذا المنطلق تعرّض سماحة السيّد الحيدري لبحث (الإمامة) من خلال الآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩) وفق المنهج الذي اختاره بعد أن تعرّض في

### • الفصل الثاني: في منهج البحث القرآني.

القسم الثاني: دراسة تطبيقية في (منهج البحث القرآني) من

خلال الآية الكريمة ﴿...وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

حيث اشتمل هذا القسم على ثلاثة فصول:

- الفصل الأوّل: بحوث مختصرة عامّة تتعلّق بالآية المباركة.
  - الفصل الثاني: في الاستدلال على الإمامة بالآية الكريمة.
  - الفصل الثالث: في الردّ على الأسئلة والإشكالات التي تثار على الاستدلال بهذه الآية المباركة.
- متوكّلين في ذلك كلّهم على الله تبارك وتعالى (وكفى بالله وكيلاً)  
والحمد لله ربّ العالمين.

محمد جواد الزبيدي

غرّة جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ



## القسم الأول

### مناهج بحث الإمامة

- تمهيد
- الفصل الأول: المنهج الكلامي في بحث الإمامة
- الفصل الثاني: المنهج القرآني في بحث الإمامة



## منهج البحث

يمكن أن تبحث (الإمامة العامّة) من خلال مناهج متعدّدة ومختلفة وسنحاول هنا التعرّف وبصورة مختصرة إلى منهجين:

أحدهما: المنهج الكلامي.

والآخر: المنهج القرآني.

وذلك من أجل التعرّف على:

أ. شروط الإمامة وعناصرها الأساسية التي يطرحها كلّ منهج.

ب. المهامّ والأدوار والمسؤوليّات التي يحدّدها كلّ منهج للإمامة.

ولابدّ من التنبيه هنا، إلى أنّنا لا نقصد بالمنهج معناه الإجرائي

كطريقة في البحث، بل المراد به نظام في التفكير، ومن ثمّ فنحن مع

هذين المنهجين أمام نظامين للتفكير متغايرين، وبالتالي أمام قراءتين

للإمامة.



## الفصل الأوّل

### المنهج الكلامي في بحث الإمامة

١ . المنهج الكلامي لدى مدرسة الخلفاء

٢ . المنهج الكلامي لدى مدرسة أهل البيت



## تمهيد

المنهج الكلامي في بحث الإمامة هو: المنهج الذي اتّبعه كثير من علماء الكلام من الفريقين، والذي سمّي في كلماتهم بالدليل العقلي لإثبات الإمامة وشرائطها.

ومنطلق هذا المنهج هو أن تحدّد المسؤوليات الأساسية التي أُلقيت على عاتق النبيّ أو الإمام، ثمّ يلتزم بعد ذلك بالشرائط التي لا بدّ من توافرها فيه من خلال معرفة حدود المسؤوليات التي ينهض بها.

ويمكن التعبير عن هذا المنهج بالمنهج (الإنّي) الذي يتحرّك من المعلول إلى العلّة، لأنّنا ننتهي فيه من خلال المسؤوليات الملقاة على عاتق الإمام إلى الشرائط الواجب توفّرها فيه.

وستعرّض هنا، وبصورة مختصرة إلى هذا المنهج لتعرّف على خلاصة النتائج التي توصّل إليها ومدى أهميّتها في فهم حقيقة الإمامة.

(١)

## المنهج الكلامي لدى مدرسة الخلفاء

### أ. مسؤوليات ومهام الإمام

انطلق المنهج الكلامي السني في بحث الإمامة من نقطة مركزية تشكّل خلفيّة نظامه الفكري لفهم هذه الحقيقة، وقد تمثّلت هذه النقطة في أنّ المقصود بالإمام أو الخليفة هو القائد والزعيم السياسي المسؤول عن إدارة شؤون الناس على مختلف الأصعدة والمستويات. ولعلّ السبب الأهمّ في قصر هذه المدرسة لمسؤوليات الإمام على المسؤولية السياسية هو الواقع الذي انتهت إليه الخلافة بعد الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله، هذا الواقع الذي أوجده الخلفاء الثلاثة الأوائل.

من هنا فإنّ علماء هذه المدرسة، وبدلاً من أن يتوسّعوا في البحث من أجل فهم حقيقة الإمامة وشرائطها ومصاديقها باعتبارها مفهوماً قرآنياً، وأن يعتمدوا في بحوثهم هذه على القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، بدلاً من كلّ هذا اعتمد هؤلاء



العلماء في فهم هذه الحقيقة على الواقع الموجود بصورة أساسية وحاولوا الاستدلال له بما يناسبه من الأدلة، وأعانهم على ذلك خاصّة كون (القيادة السياسية) تشكّل إحدى المسؤوليات المناطة بالإمام في النظرية القرآنية واقعاً، كما سنبينه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

### ب. شرائط الإمامة

اتّضح لنا سابقاً أنّ دور الإمام ومسؤوليته في النظام الفكري لمدرسة الخلافة لا يتجاوز تخوم القيادة والزعامة السياسية. ترتّب على اتّخاذ هذه النقطة المركزية محوراً في تأسيس نظرية الإمامة، القول بالشروط التالية للإمامة:

١. إنّ تعيين الإمام يتمّ من خلال نظرية الشورى والانتخاب. وقد اتّجهت هذه المدرسة صوب هذه النظرية في تعيين الإمام بسبب:

أولاً: لأنّ هذه النظرية أقرب إلى الذوق العرفي.

ثانياً: أنّ الحكومة شأن من شؤون الناس وعهد بينهم وبين الإمام القائد، وإذ يكون الأمر كذلك فلا بدّ أن يكون للأمة دور فيها، لأنّ القرآن الكريم ينصّ على ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨).

ومن الواضح أنّ الإمامة بمعنى القيادة داخلية في أمر الناس .  
 ٢. لا يشترط الدوام في هذه الإمامة، لأنّ المفروض أنّ هذا المنصب لا يتحقّق لأحد إلّا بعد الانتخاب والبيعة، ومع عدم ذلك لا يحقّ لأحد أن يتصدّى لهذه المسؤولية ويرغم الناس على القبول، وحينئذ قد تنقطع هذه الإمامة - كما حصل فعلاً - ولا تبقى دائمة ومستمرّة ومتّصلة.

٣. كما لا يشترط فيمن يتصدّى للنهوض بدور الإمامة (بمعنى القيادة السياسية) أن يكون معصوماً، بل تكفيه من الناحية السلوكية «العدالة» بمعناها المتداول في البحث الفقهي، على أحسن التقادير.

٤. كما لا يشترط في القائد السياسي أيضاً، قدرة ومستوى من الناحية العلمية أكبر من القدرة والمستوى الذي يمكنه من أداء المسؤوليات التي أنيطت به.

(٢)

## المنهج الكلامي لدى مدرسة أهل البيت

لم يبادر المنهج الكلامي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهو يبحث موضوع الإمامة، إلى تحرير محلّ النزاع فيما بين المدرستين وطرح بحوث تأسيسية في هذا المجال، بل دخل - كردّ فعل للاتّجاه السنّي - إلى تفاصيل بحث الإمامة مباشرة، ممّا أفقده الكثير في مجال طرح التصرّور الشامل لنظرية الإمامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وعلى كلّ حال، فإنّ مسؤوليات الإمامة وشروطها في هذا المنهج يمكن بيانها مختصراً كما يلي:

### أ. مسؤوليات الإمام

أدّى ما تقدّم من عدم تحرير محلّ النزاع بين المدرستين في فهم حقيقة الإمامة إلى أن يكون الدور السياسي هو الأساس الذي تمحور حوله بحث مهامّ الإمامة ومسؤوليات الإمام وبالشكل الذي طغى فيه بريق هذا الدور على أدوار الإمامة الأخرى التي

تقول بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام من قبيل الدور التشريعي ودور القدوة الحسنة وغيرها، وبقيت هذه الأدوار تعاني من إشكالات تواجهها بسبب المنهجية التي طرحت من خلالها.

## ب. شروط ومواصفات الإمامة

وحينما انتقل هؤلاء العلماء إلى شروط الإمامة فإنهم وتبعاً لكون بحوثهم قد انعقدت أساساً وكرّد فعل للمنهج السنّي في هذا الخصوص، فإنّهم قالوا بالشروط التالية للإمامة:

١. إنّ الإمامة بالنصّ في قبال نظرية الشورى والانتخاب.
٢. إنّ الإمام لا بدّ أن يكون معصوماً بعصمة مطلقة من حيث الاعتقاد والأخلاق والسلوك الخارجي، قبال القول بالعدالة المتعارف عليها في البحوث الفقهية.
٣. إنّّه لا بدّ للإمام من العلم الكامل الخاصّ من غير كسب متعارف، قبال القول بالعلم المحدود الذي يمكنه من القيام بمهامّ قيادته السياسية.
٤. إنّ الإمامة ظاهرة مستمرّة ومتّصلة ودائمة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، قبال القول بانقطاع الإمامة عند عدم وجود القائد والإمام المنتخب من قبل الناس.

## نتائج وآثار المهّج الكلامي الإمامي

تراءى للكثير ممّن درس بحوث الإمامة من خلال علم الكلام الشيعي أنّ هناك تهاافتاً وعدم انسجام بين مسؤولية ومهمّة الإمام والتي أوحى بها هذا المهّج والمتمثلة بالقيادة السياسية للأمة، وبين الشرائط والمواصفات التي ذكرت للإمامة، حيث تعدّ الشروط أضخم وأوسع بكثير من المهمّة التي ينهض بها الإمام. ولعلّ في هذه الرؤية ما يفسّر لنا التداعيات التي راحت تتهاوى إليها بعض الكتابات المعاصرة حيث وجدنا:

١. ممّن تجاوز تخوم الشكّ إلى حدّ رفض نظرية النصّ في الإمامة وما يستتبع ذلك من لوازم، لأنّ القيادة في نظره شأن من شؤون الناس ولا بدّ من الانتخاب فيها لا النصّ والتعيين.
٢. وممّن رفض العصمة بنحو كلّ محتجّاً بأنّها لو كانت شرطاً أساسياً في القائد، لما تخلّى عنها أصحابها واكتفوا بالقول بشرط العدالة في الإمام - أي القائد - في زمن الغيبة.
٣. وممّن ذهب إلى أنّ النزاع في من هو الأحقّ بالإمامة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله نزاع تاريخي عقيم لا طائل من ورائه.
٤. وممّن راح يتساءل عن الفائدة المترتبة على وجود إمام غائب عن الأنظار ليس بمقدوره أن يواجه مشكلات العصر ويتحمّل

مسؤوليته فعلاً، فإنَّ وجود مثل هذا الإمام يعدّ لغواً لا فائدة منه، وهو محال على الحكيم سبحانه.

قد يقال هنا بأنَّ ذاك الإيحاء الذي فهم منه الكثيرون أنَّ المنهج الكلامي الإمامي قَصَرَ مسؤولية الإمام على القيادة السياسية، إيحاء مخالف للواقع، لأنَّ هؤلاء العلماء أثبتوا أيضاً أدواراً أخرى للإمامة من قبيل دور الإبلاغ والمرجعية الدينية ودور القدوة الحسنة، وأنَّهم بسبب هذه الأدوار كلّها قالوا بالشروط المذكورة في محلّها.

غير أنَّ هذا لن يغيّر من الأمر شيئاً؛ وذلك لأننا لو أردنا أن نثبت شرائط الإمامة من خلال هذه المسؤوليات تبعاً لهذا المنهج، فإنَّ النتيجة التي سننتهي إليها لن تسوّغ لنا ما اشترطناه من شروط أيضاً.

فعلى مستوى شرط العصمة - مثلاً - فإنَّه بالإضافة إلى ما بيّناه سابقاً من وجود من يدّعي أنَّ مسؤولية الإمام السياسية لا تبرّر شرط العصمة في الإمامة أصلاً، فإنَّ هناك من يقول بأنَّ مسؤولية البلاغ والمرجعية الدينية، وإن كانت تستلزم العصمة، ولكن في حدود هذه المسؤولية لا أكثر، ومن هنا آمنت جلّ المذاهب الإسلامية بالعصمة في النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله في حدود ما يقتضيه مقام إبلاغ الرسالة فقط لا أكثر.

وهكذا الحال في مضمار القدوة والأسوة الحسنة، فلو أراد الإنسان أن يدقق في هذه المسؤولية ويلحظها بنحو تجريدي محض، لأمكنه أن يقول إنّها لا تستلزم أكثر من أن يكون الإمام معصوماً على مستوى الفعل الخارجي لا النوايا والضائر والعقائد والملكات، بل ولا على مستوى الفعل الخارجي إذا كان مختلياً بنفسه ولم يره أحد، فإنّه لا موضوع لمسألة القدوة والأسوة في مثل هذه الحالة أساساً.

وخلاصة القول أنّنا لو أردنا أن نصل إلى الشروط والعناصر الأساسية من خلال هذا الطريق فإنّنا سنجد أنّ تلك الشروط تضيق دائرتها في بعض الأحيان وقد تنعدم في أحيان أخرى.

### بيان مصاديق الإمامة من خلال المهّج الكلامي

وأما على مستوى بحث الإمامة الخاصّة وبيان مصاديق الإمامة، ومن هم الأئمّة وفق هذا المهّج؟ فمن الواضح أنّ مدرسة الخلفاء وتبعاً لبحثها لمسألة الإمامة من خلال مسؤوليات الإمام وتحديدّها لهذه المسؤوليات بالمهمّة والقيادة السياسية، فقد اضطرّت إلى تسمية الأئمّة وفقاً للواقع التاريخي السياسي الذي عاشته الأمة. فأئمّتها أئمّة الأمر الواقع والقادة السياسيّون الذين حكموا العالم الإسلامي في أدواره المختلفة.

وأما مدرسة أهل البيت عليهم السلام الكلامية، فإننا وإن كنا نرى  
أن المنهج الكلامي عاجز عن إيفاء مسألة الإمامة تمام حقّها إلّا أن  
أصحاب هذا المنهج نجحوا في تحديد مصاديق الأئمة، وتعيّنهم  
بالأئمة المعصومين عليهم السلام يقودهم في هذا النجاح شرطاً  
(النصّ) و(العصمة) كما هو واضح.



## الفصل الثاني

### المنهج القرآني في بحث الإمامة

- شرائط الإمامة
- أدوار ومهام الإمام
- نتائج وآثار المنهج القرآني



## تمهيد

بالرغم من الخدمات الجليلة التي قدّمها المنهج الكلامي الشيعي ورموزه الفكرية اللامعة، إلّا أنّ هذا المنهج - وحسب تصوّرنا - لم يتمكن من الارتقاء في طرح الإمامة إلى مستواها المطلوب. بالأخصّ مع ما خالطه من تأثيرات جاءت إليه من المنهج الكلامي للفريق الآخر، بحيث بدا الاتجاه الإمامي وكأنّه يخوض معركة الدفاع عن الإمامة على ساحة الفريق الآخر، متورّطاً بإشكالياته وأسئلته ومنطلقاته، وهذه نتيجة طبيعية للمنهج الدفاعي ولغياب التأسيس.

ومن هنا دعت الحاجة إلى تأسيس منهج آخر أطلقنا عليه اسم (المنهج القرآني) وهو المنهج المختار عندنا حيث يتولّى طرح بحوث ونظرية الإمامة من حيث حقيقتها وشروطها ومواصفاتها ومهامّ الإمام ومسؤولياته وفق أسس ومنطلقات فكرية خاصّة به وبالصورة التي لا يبقى معها مجال لحصول مثل ذلك الإحساس السابق بالتهافت وعدم الانسجام بين مسؤوليات الإمام وشروط الإمامة بصورة عامّة.

## أولاً: شرائط الإمامة

ويبدأ هذا المنهج بالتعرّف على حقيقة الإمامة وشرائطها من خلال القرآن الكريم وبمعاونة الروايات الواردة بهذا الخصوص مع قطع النظر عن المسؤوليات والوظائف المرتبطة بالإمامة والملقاة على عاتق الإمام.

وقد يصطلح على هذا الطريق بالمنهج (اللمّي) لأنّه يحاول أن يفهم الإمامة وشرائطها من خلال نفس الأدلة التي تتكلّم عن هذه العناصر.

وعلى كلّ حال، فإنّ اتّباع هذا المنهج، يظهر لنا أنّ أهمّ مسائل الإمامة وشروطها تتلخّص في ما يلي:

١. إنّها عهدٌ إلهي، وجعلُ ربّاني، ونصبٌ منه سبحانه وتعالى وهذا صريح الآيات والروايات؛ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣).

وفي الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فالإمام هو المنتجب المرتضى، اصطفاه الله بذلك، واختاره بعلمه وانتجبه لظهره، بقية من آدم عليه السلام وخيرة من ذرية نوح ومصطفى من آل

إبراهيم وسلالة إسماعيل، وصفوة من عترة محمد صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup>.

ومن هنا فمقام الإمامة كالرسالة والنبوة من حيث إنها بيد الله سبحانه وتعالى وهو أعلم حيث يجعل عهده. فإذا كانت الإمامة عهداً، وشأناً، وأمرأ إلهياً، فلا بد أن تكون بنصب ونص منه تعالى، ولا مجال لدعوى تفويض أمرها إلى اختيار الناس وانتخابهم لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨)، فهي ليست أمراً وشأناً من شؤون الناس، بل هي أمر وشأن وعهد إلهي كما قالت الآية المباركة ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، ومن الواضح أن المراد من العهد هنا هو عهد الإمامة، كما أشار إليه المحققون من مفسري الفريقين.

٢. إن الإمام لا بد أن يكون معصوماً بعصمة تامة على مختلف المستويات، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم، والروايات المتواترة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، ومن الروايات

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ٢٠٣.

حديث الثقلين المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله جبل ممدود من الأرض إلى السماء، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون، لا يأمرن بمعصيته»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوب لهم لأنهم معصومون مطهرون»<sup>(٣)</sup>.

٣. إن الإمام لا بد أن يكون له علم خاص من غير كسب متعارف، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا

---

(١) قال الحكيم في الأصول العامة ص ١٦٥: «وما أظن أن حديثاً يملك من الشهرة ما يملكه هذا الحديث، وقد أوصله ابن حجر في الصواعق المحرقة إلى نيف وعشرين صحابياً، وفي غاية المرام وصلت أحاديثه من طرق السنة إلى (٣٩) حديثاً، ومن طريق الشيعة إلى (٨٢) حديثاً».

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٠٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ١٩٩.

مِنْهُمْ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿السجدة: ٢٤﴾  
 فاليقين الذي يصل إليه الإمام يختلف عن العلم المتعارف عندنا.  
 ٤. إنَّ الإمامة مستمرة ودائمة لا انقطاع لها، وقد دلَّ القرآن  
 عليها بقوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ (الزخرف: ٢٨)،  
 والروايات التي أُيِّدت هذه الحقيقة فوق حدِّ الإحصاء، ولا أدلَّ من  
 حديث الثقلين، الدالَّ على عدم افتراقهما حتَّى يرثاهما الحوض،  
 وهو يكشف عن بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة، فلا  
 يخلو منهما زمان من الأزمنة.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال السائل: قلت: «لأي شيء  
 يحتاج إلى النبي والإمام؟ فقال: لبقاء العالم على صلاحه»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لم تخل الأرض منذ خلق  
 الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو  
 إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها.

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس  
 بالحجة الغائب المستور؟ قال عليه السلام: كما ينتفعون بالشمس إذا  
 سترها السحاب»<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٥.

ولعلّ في هذا التشبيه إشارة إلى حقيقتين أساسيتين:  
 الأولى: أنّ الانتفاع به عليه السلام لا يختصّ بعالم التشريع  
 والاعتبار بل يتجاوز ذلك إلى عالم التكوين.  
 الثانية: إنّ هذا الأمر غير محسوس ومرئيّ للناس، بل يرتبط بعالم  
 الغيب لا نشأة الشهادة.

### ثانياً: أدوار ومهام الإمام

إنّ ما نستوحيه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة  
 والروايات الصحيحة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام  
 - الذين هم عدل القرآن كما هو نصّ حديث الثقلين المتواتر سنداً  
 ومضموناً - أنّ دور الإمامة التي تعتقد بها مدرسة أهل البيت عليهم  
 السلام يختلف اختلافاً جوهرياً عن دور الإمامة التي تنحصر في  
 الخلافة والحكم، وذلك لأنّ هذا الاتجاه يرى أنّ للإمامة دوراً فوق  
 دور القيادة والزعامة السياسية، وهو الدور الذي بيّنه القرآن الكريم  
 لإبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ  
 إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤)، ولها مرتبة هي بتعبير الإمام الرضا عليه السلام  
 «مرتبة ثالثة بعد النبوة والخلة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره»<sup>(١)</sup>.

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ١٩٩.



وهذا الدور هو الدور الذي نستخدم عليه بـ «الدور الوجودي».

وأما الدور التشريعي أو: المرجعية الدينية و«القيادة السياسية» و«القدوة الصالحة»، فهي ثمرات ذلك الأصل الذي عبر عنه القرآن الكريم بـ «الشجرة الطيبة» التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥).

وهكذا تتلخص مهام وأدوار الإمامة في هذا المنهج بما يلي:

١. الدور الوجودي.
٢. الدور التشريعي.
٣. القيادة السياسية.
٤. القدوة الصالحة.

## نتائج وآثار المنهج القرآني

من الواضح أنّ (الإمامة) وباعتبارها مصطلحاً قرآنياً لا يمكن أن تفهم حقيقتها بصورة كاملة ولا يمكن أن تتضح شروطها ومهام وأدوار الإمام فيها من دون الرجوع إلى القرآن الكريم والاستعانة بالروايات الصحيحة في هذا المجال.

من هنا، وبسبب عدم إحاطة المنهج الكلامي السنّي بحقيقة الإمامة هذه قام بقصرها على بعدها السياسي في قيادة الدولة

والمجتمع، ثم انتهى بعد ذلك ومن خلال قوله بهذا البعد السياسي إلى تحديد شرائط الإمامة، ففرّغها بذلك من مدلولاتها وشرائطها ومواصفاتها القرآنية ومنعها أبعادها الأخرى التي أعطاها القرآن الكريم لها.

ولم يستطع المنهج الكلامي الإمامي أيضاً، من تقديم الصورة المتكاملة عن الإمامة القرآنية، فهو وإن نجح في تقديم جملة الشرائط الصحيحة للإمامة في قبال شرائط مدرسة الخلفاء، ولكنه ابتلى بجملة الإشكالات والتساؤلات والتي انطلقت من الإحساس بحصول التهاافت بين الشروط التي ذكرها هذا المنهج للإمامة وبين دور الإمامة في القيادة السياسية.

أمّا المنهج القرآني، فإنه لم ينطلق في تحديد مهام الإمامة من الواقع الموجود لينتهي إلى تحديد شروط الإمامة وفق تلك المهام، كما فعل المنهج الكلامي السني.

ولم يدخل في بحث الإمامة مباشرة وكرّد فعل للمنهج الكلامي السني كما فعل المنهج الكلامي الإمامي.

بل انطلق من خلال منهجه الخاص به، فنظر إلى الأدلة الدالة على عناصر ومسائل وشروط الإمامة الأساسية. وبقطع النظر عن ارتباط ذلك بالوظائف والمسؤوليات التي يقوم بها الإمام، وما هي

مقتضيات تلك المسؤوليات ولوازمها.

وبعبارة أخرى: إننا ووفق (المنهج القرآني) بإمكاننا أن نثبت (مواصفات وشروط الإمامة) أولاً وقبل البحث في (مهام ومسؤوليات الإمام)، ومن ثمّ ليس من الصحيح (وفق هذا المنهج) تحديد تلك الشروط بمسؤوليات ووظائف الإمام، كما لا يصحّ أن تقاس هذه الشروط إلى تلك الوظائف والمسؤوليات حتّى يقال بتهافتها أو عدم الحاجة إليها كما قيل سابقاً.

نعم، بعد أن تثبت هذه العناصر والشروط ستتجلّى المسؤوليات والوظائف التي أُلقيت على عاتق الإمام من المرجعية الدينية والقيادة السياسية والقدوة الصالحة... وغيرها، وسيكون بالإمكان - حينئذ - بيان العلاقة الموجودة بينهما من دون أن نحدّد هذه الشروط بتلك المسؤوليات.

فبالإمكان - على سبيل المثال - أن نثبت من خلال هذا المنهج أنّ لشرط العصمة والعلم الخاصّ مدخلة في دور الإمام التشريعي دون دوره في القيادة السياسية، ولكن لا بالشكل الذي يتحدّد فيه شرط العصمة من خلال هذا الدور التشريعي. وحينئذ، لن يكون هناك مجال لأن يقال - كما قيل في المناهج الأخرى - بأننا لا نحتاج إلى إثبات هذه العصمة للإمام قبل أن يمارس دوره التشريعي فعلاً،

أو بأننا لا نحتاج إلى هذه العصمة في كل شؤون الإمام إلا فيما يرتبط بأُمور التبليغ خاصّة، فلا بدّ من تحديدها بهذه المهمّة فقط، وأمّثال ذلك.

هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإنّ في بيان عدم الملازمة بين دور الإمام في القيادة السياسية وبين شرط العصمة في الإمامة دفع لاعتراض من يعترض بأنّ العصمة لو كانت شرطاً في القائد والإمام، فلماذا رفعوا اليد عنها بعد ذلك في عصر الغيبة.

غير أنّنا لا بدّ أن نشير هنا إلى أنّ القول بأنّ العصمة ليست من لوازم منصب القيادة والزعامة في الأُمّة لا يعني انتقال هذا المنصب إلى غير المعصوم مع وجود المعصوم، بل يكون هو المتعيّن له، كما هو الحال في عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله، فمع وجود الإمام يكون هو الأحقّ والأولى - بالأولوية التعيينية - لإدارة شؤون الناس، ولا شكّ في أنّ الأُمّة ستكون مقصّرة ومسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى فيما لو تركت الإمام المعصوم واختارت غيره لقيادتها.

وهكذا بالنسبة إلى شرط (النصّ) الذي سنجد بأنّه شرط يرتبط بشرط (العصمة) لا بدور الإمام السياسي؛ وذلك لأنّ العصمة أمر خفيّ على الناس فلا يمكن نيلها من خلال (الاختيار والانتخاب) بل لا بدّ من (النصّ) لإثبات عصمة المعصوم والكشف عنه، لا

لإثبات قيادته السياسية، وهكذا يندفع اعتراض من يعترض بأن الإمامة والقيادة ليست بالنصّ وإلاّ لما تخلّى أصحاب هذا الشرط - أي النصّ - عن شرطهم هذا كما تخلّوا عن شرط العصمة في عصر الغيبة.

وهنا لابدّ من التأكيد أيضاً أنّ (النصّ) ومن خلال تعيينه للإمام المعصوم سوف يعيّن وينصّ ضمناً على أنّه هو القائد السياسي الذي يجب على الأمة الانقياد له مباشرة في حالة حضوره ولا يجوز لها تركه إلى غيره.

وأما شرط الديمومة ووجود متأهل من أهل البيت عليهم السلام في كلّ عصر بحيث لا تخلو الأرض من حجة، فإنّ لهذا الشرط - كما أنّ لشرط العصمة والعلم الخاصّ - علاقة وارتباطاً مباشراً بالدور الأساسي للإمامة، الذي تفرّعت عليه باقي الأدوار، ونعني به الدور الوجودي، على ما نطقت بذلك الآيات والروايات العديدة.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ هذا الدور الوجودي الذي بإمكان هذا المنهج طرحه، لا مجال لطرحه من خلال المنهج الكلامي السابق، ولعلّ هذا من أهمّ الإشكالات التي تسجّل على المنهج الكلامي أساساً.

## الخلاصة

إنّ هذا المنهج والنظام الفكري الذي يكمن وراءه قد تعاطى مع (الإمامة) بكامل أبعادها القرآنية:

- فحدّد شروطها من نصّ وعصمة وعلم خاصّ واستمرارية.
- وبَيّن ما تنهض به من دور وجوديّ وعلميّ وسياسيّ وتربويّ، فانتهى بها إلى أن تكون ضرورة وجودية وقانوناً في الهداية الخاصّة لا يعقل تخلفه، وظاهرة دائمة تلازم الخليفة إلى أن تبلغ الإنسانية كما لها المنشود.

من ثمّ - وكنتيجة منطقية وطبيعية لهذا المنهج - فإنّ النوع الإنساني لا بدّ وأن يكون - الآن - معاشاً لوجود إمام قائم أثبتت بحوث الإمامة الخاصّة - في محلّها - أنّه هو الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف.

هذا بالإضافة لما قامت به هذه البحوث من تعيين لسلسلة الأئمّة المتّصلة من آبائهم عليهم السلام والمستمرّة إلى الرسول صلّى الله عليه وآله حيث عيّنتهم بأسمائهم ووصفتهم بصفاتهم وتعرّضت لشرح أحوالهم وأعمالهم عليهم السلام.

القسم الثاني

## دراسة تطبيقية في المنهج القرآني في الآية المباركة

- الفصل الأول: بحوث مختصرة عامة تتعلق بالآية المباركة
- الفصل الثاني: الاستدلال بالآية المباركة
- الفصل الثالث: ردّ الإشكالات المثارة على الاستدلال





## الفصل الأول

### بحوث مختصرة عامّة تتعلّق بالآية المباركة

١ . التقوى، ومعناها ودورها وأهميّتها.

٢ . الصدق والصادقين، معناهما اللغوي والعرفي والقرآني

٣ . المتّقون ومعية الصادقين.



(١)

## في معنى التقوى ودورها

ابتدأت الآية الشريفة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ حيث أمرت المؤمنين بتقوى الله تبارك وتعالى؛ مما يدل على أن منزلة (التقوى) هي منزلة ما بعد الإيمان بالله ورسوله، وذلك لأن القرآن الكريم درج على مخاطبة الإنسان وتكليفه بالصورة التي تتناسب مع حالته التي هو فيها من حيث كونه قد آمن بالله تعالى وبالرسالة التي أرسل بها نبيه صلى الله عليه وآله أو من حيث كونه لم يؤمن بذلك بعد.

ففي البدء يخاطب القرآن الكريم الناس بما هم لكي يأمرهم بالإسلام والإيمان، فيخاطبهم بمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وأما عندما يريد أن يأمرهم بالصلاة أو الصيام أو التقوى وما شابه ذلك، فإنه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...﴾ (المائدة: ٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾ (البقرة: ١٨٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ (التوبة: ١١٩).

وفي هذا إشارة إلى أن إقامة الصلاة أو الصيام أو الالتزام بالتقوى إنما تأتي بعد الإيمان بالله وبرسوله لا قبل ذلك.

من هنا قلنا إن في الآية مورد البحث دلالة على أن مرحلة التقوى إنما تأتي بعد مرحلة الإيمان<sup>(١)</sup>. وهناك العديد من الروايات التي تؤكد هذا المعنى أيضاً من قبيل ما ورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد الإسلام درجة، قال: قلت: نعم، قال: والإيمان على الإسلام درجة، قال: قلت: نعم، قال: والتقوى على الإيمان درجة...<sup>(٢)</sup>.

ومثله عن الرضا عليه السلام: قال: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة والتقوى فوق الإيمان بدرجة...»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) وأما ما ورد في بعض الآيات من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ...﴾ وما شابه ذلك فليس فيه دلالة على أن مرحلة التقوى قد تسبق مرحلة الإسلام بل التعبير هنا بـ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ لنكات تفسيرية يمكن مراجعتها في محلها من كتب التفسير المعتمدة.

(٢) أصول الكافي: ج ٢ ص ٤٣ كتاب الإيمان والكفر، باب فضل الإيمان على الإسلام.

(٣) المصدر نفسه.

## التقوى والكون مع الصادقين

ثم بعد أن بيّنت الآية المباركة أنّ الأمر بالتقوى يكون بعد الإيمان أمرت المتقين أن يكونوا مع الصادقين فقالت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. ولهذا حاولنا التعرّض بصورة مختصرة إلى معنى التقوى.

### معنى التقوى

وقى وقايةً حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ (الإنسان: ١١)، وقال تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحریم: ٦).

والتقوى: جعل النفس في وقاية ممّا يخاف... ثمّ صارت التقوى في عرف الشرع هي حفظ النفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، بل ترك بعض المباحات أيضاً؛ لما روي: «الحلال بين والحرام بين، ومن رتّع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه»<sup>(١)</sup>.

### أهمية التقوى

أشار القرآن الكريم إلى أهمية التقوى في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا

(١) مفردات الراغب، مادة وقى، ص ٥٣٠.

لأنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ (التغابن: ١٦).  
 وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى  
 وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾  
 (الحجرات: ١٣).

وقد نبّه تبارك وتعالى في ذيل هذه الآية المباركة على أنّ الكرامة  
 الحقيقية إنّما هي بتقوى الله وأنّ ملاك القرب منه تعالى يدور مدار  
 التقوى لا مدار المقامات الدنيوية من مال أو جاه أو حسب أو  
 نسب.

وهكذا ما ورد في عشرات الروايات الواردة عن المعصومين عليهم  
 السلام، التي تحدّثت عن التقوى وأهميّتها، من قبيل ما ورد عن أمير  
 المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا يقلّ عمل مع تقوى، وكيف يقلّ ما  
 يتقبّل»<sup>(١)</sup>.

وما ورد عن الصادق عليه السلام في وصيته لعمر و بن سعيد  
 الثقفي قال: «أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنّه لا ينفع  
 اجتهاد لا ورع فيه»<sup>(٢)</sup>.

وليس أدلّ على أهميّة التقوى في أحاديث الرسول صلّى الله عليه وآله

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ٦٠، باب الطاعة والتقوى، ح ٣.

(٢) أصول الكافي: ج ٢، ص ٦٢، باب الورع، ح ٣.

وأهل بيته عليهم السلام من تكرار الوصية بها، والحثّ عليها، والأمر بها، بحيث يصعب حصر عدد هذه الأحاديث ويطول المقام لو أردنا ذكرها كلّها.

وخلاصة القول: إنّ للتقوى آثاراً مهمّة وعديدة أشارت إليها الآيات والروايات.

غير أنّ بعض الناس يعتقد أنّ أثر التقوى إنّما يظهر في الحياة الآخرة فقط ولا يشمل الحياة الدنيا. ولكن هذه النظرة تخالف بشكل واضح ما يطرحه القرآن الكريم، حيث أنّه لم يخصّص أثر التقوى على الإنسان في النشأة الأخرى ومن حيث الثواب والعقاب الآخروي، وإنّما عمّم أثرها لكلتا النشأتين، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل: ٥-٧) إشارة إلى أنّ حياة المتقي في هذه الدنيا حياة يسيرة سهلة طيبة لا ضنك فيها، وهكذا في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

فحياة المؤمن ليست حياة طيبة في الدار الآخرة فقط وإنّما هي كذلك في هذه النشأة الدنيوية أيضاً.

وهكذا في الآية مورد البحث (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

حيث جعلت الآية التقوى مقدمة للكون مع الصادقين.  
 فأي أهمية وأي دور أعظم من هذا الدور يمكن أن يتصور  
 للتقوى مع وضوح أن هذا الأمر ناظر إلى الحياة الدنيا لا الآخرة.  
 وليبان دور وأهمية التقوى في عملية الكون مع الصادقين  
 بصورة أوضح نقول: إننا إذا استطعنا أن نثبت أن الصادقين هم  
 المعصومون وأن مصداقهم هو النبي صلى الله عليه وآله وعترته أهل بيته  
 عليهم السلام، فإنه سيتبين لنا حينذاك وبصورة أجلى أهمية التقوى  
 وسرّ اشتراطها كمقدمة لاتباع الصادقين وللكون معهم، وذلك لأن  
 الإنسان مسافر إلى الله تعالى وكادح إليه كدحاً من أجل الوصول  
 إليه والقرب منه واللقاء به ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ  
 كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦) وأن هذا الكدح لا يحقق ثمرته إلا إذا  
 كان على الصراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الحمد: ٦) ولا  
 يزداد السائر على غير هذا الطريق إلا ضلالة وبعداً عن الهدف على  
 حدّ قول الإمام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر  
 على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعداً»<sup>(١)</sup>.

ثم إنّ تحقق السير على هذا الصراط المستقيم بينه القرآن الكريم  
 من خلال قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

(١) الكافي: ج ١، ص ٤٣، باب من عمل بغير علم، ح ١.



اللَّهُ... ﴿آل عمران: ٣١﴾ وَإِنَّ هَذَا الْاِتِّبَاعَ لِلْخَاتَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْأَخْذِ بِكُلِّ مَا جَاءَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤).

وَمَّا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَوْلُهُ الَّذِي بَيَّنَّ فِيهِ كَيْفِيَّةَ اتِّبَاعِهِ مِنْ أَجْلِ السَّيْرِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْخُلَاصِ مِنَ الضَّلَالَةِ حَيْثُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، وَعَتَرْتِي أَهْلَ بَيْتِي، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا»<sup>(١)</sup>.

فَهُنَاكَ سِيرٌ وَسَفَرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ يَتَمَسَّكُ فِيهِ الْإِنْسَانُ بِالْقُرْآنِ وَالْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ الصَّادِقَةِ الْمَعْصُومَةِ. وَلِأَنَّ كُلَّ سَفَرٍ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ زَادٍ، فَإِنْ زَادَ هَذَا السَّفَرُ هُوَ التَّقْوَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: ١٩٧).

وَعَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١١٨، باب ٧: فضائل أهل البيت والنص عليهم، ح ٣٦.

الزاد وبها المعاذ، زاد مبلغ ومعاذ منجح...»<sup>(١)</sup>.

وهكذا كانت التقوى وباعتبارها زاد هذا السفر إلى الله تعالى شرطاً وطريقاً من أجل أن يتمكن الإنسان من اتباع القرآن والعتره أتباعاً صحيحاً، وليكون مع الصادقين حقاً، وليسير على الصراط المستقيم ليصل إلى الهدف الذي يبتغيه من سيره نحوه عز وجل، ومن هنا ورد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا جابر أيكثري من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه...»<sup>(٢)</sup> وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١١٤.

(٢) أصول الكافي: ج ٢، ص ٦٠، باب الطاعة والتقوى، ح ٢.

(٣) أصول الكافي: ج ٢، ص ٦٢، باب الورع، ح ٣.

(٢)

## معنى (الصدق والصادقين)

ذكرنا سابقاً أنّ الآية الشريفة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أمرت المؤمنين بتقوى الله والكون مع الصادقين، فما هو المراد بالصدق وما هو المراد بالصادقين.

### ١. المعنى اللغوي والعرفي لهما

أ. قال الراغب في مفرداته: «الصدق والكذب أصلهما في القول فلا يكونان بالقصد الأول إلا فيه» - أي في القول - فالصادق هو من يكون صادق القول، وهذا هو الأصل في استخدام لفظة الصادق أيضاً، وهو المعنى العرفي المتداول لهذه اللفظة فيما بيننا.

«وقد يستعمل الصدق والكذب - توسعة - في أفعال الجوارح فيقال صدق في القتال إذا أدّى حقّه وفعل ما يجب وكما يجب وكذب في القتال إذا كان بخلاف ذلك»<sup>(١)</sup>، وهكذا.

ب. الصدق والكذب الخبري والمخبري: ونعني بالصدق

---

(١) مفردات الراغب، مادة صدق، ص ٢٨٤.

والكذب الخبري، مطابقة الخبر للخارج في الصدق وعدم مطابقتها له في الكذب، كما نعني بهما مطابقة الخبر لاعتقاد المخبر في الصدق وعدم مطابقتها له في الكذب.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ١)، فقول المنافقين في نفسه صدق، فهو خبر صادق ونطلق عليه صدق خبري، وأمّا قولهم بالنسبة لاعتقادهم فهو كذب، ونطلق عليه كذب مخبري، وعلى هذا فقس.

ومن هنا قال الراغب في مفرداته: «والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً بل إمّا أن لا يوصف بالصدق وإمّا أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين»<sup>(١)</sup>.

وقد بيّن العلامة الطباطبائي قدس سرّه هذا المعنى بصورة واضحة في قوله: «والكذب خلاف الصدق وهو عدم مطابقة الخبر للخارج فهو وصف الخبر كالصدق، وربما اعتبرت مطابقة الخبر ولا مطابقتها بالنسبة إلى اعتقاد المخبر... فيقال فلان كاذب إذا لم يطابق خبره الخارج وفلان كاذب إذا أخبر بما يخالف اعتقاده،

(١) مفردات الراغب، مادة صدق، ص ٢٨٤.

ويسمى النوع الأول صدقاً وكذباً خبريين والثاني صدقاً وكذباً مخبريين<sup>(١)</sup>.

## ٢. المعنى القرآني للصدق والصادقين

إنّ ما سبق كان المعنى اللغوي والعرفي للصدق والصادقين، ولكننا بالرجوع إلى القرآن الكريم نراه يحدّد معنى آخر لهما، ويمكن الاستفادة من هذا المعنى من خلال عدّة آيات كريمة، غير أنّنا قبل التعرّض إلى هذا المعنى، نشير إلى أنّ الأسلوب القرآني في هذا المجال يقوم على طرح المفاهيم من خلال مصاديقها الخارجية، فلسان حاله ليس لسان حال تعريف الألفاظ وطرح مفاهيمها المجردة بل هو لسان حال إيجاد القدوة والأسوة الصالحة، فهو لا يريد من الإنسان أن يكون مجرد موسوعة لمعرفة المصطلحات، وإنّما يريد منه الاتّباع، والاتّباع هو فرع وجود القدوة والأسوة في الواقع الخارجي. وهذا دأب القرآن في جميع بياناته فإنّه يبيّن المقامات ويشرح الأحوال بتعريف رجالها من غير أن يقنع ببيان المفهوم فحسب.

إذا تبين هذا لنا، نعود إلى الآيات الكريمة التي تعرّض فيها القرآن الكريم إلى بيان المراد من الصدق والصادقين والتي منها:

• قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ

(١) الميزان للطباطبائي: ج ١٩، ص ٢٧٩.

يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾  
(الحجرات: ١٥).

• وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

تحدثت الآية الأولى عن صفات المؤمنين ثم وصفتهم بأنهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وتحدثت الآية الثانية عن صفات الأبرار ثم قالت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ ومن هنا، وبمساعدة هاتين الآيتين، يتبين لنا أن صفات الصادقين - بعد الفراغ من صدقهم في القول - هي:

أ. على مستوى الاعتقاد: هم أصحاب الاعتقاد الكامل الحق الذين لم يشكوا ولم يرتابوا فيما آمنوا واعتقدوا به، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة: ١٧٧) وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات: ١٥).

ب. على مستوى الأعمال: هم من كانت أعمالهم كاملة لا نقص

فيها وتابعة لما يعتقدون به، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الحجرات: ١٥)، ذكر لبعض ما يقوم به هؤلاء الصادقون.

ج. على مستوى الأخلاق: هم من كانت أخلاقهم نابعة من معتقداتهم الكاملة الحقّة، من قبيل ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعِثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

فالصادق قرآنيًا إذن هو من كان صادقًا في قوله؛ فلا يخبر إلا عن الواقع، وصادقًا في اعتقاده، أي يعتقد بما هو الحق ويعمل به، وصادقًا في أعماله؛ إذ تتطابق مع اعتقاداته الحقّة، وصادقًا في أخلاقه؛ إذ تنبع عن تلك الاعتقادات الحقّة.

وبتعبير آخر هو من صدّق قوله فعله وصدق فعله قوله وصدق اعتقاده فعله في كلّ الأحوال وعلى حدّ سواء.

وهكذا يكون ظاهره وباطنه واحدًا، حتّى ورد في المأثور: أنّ (من استوت ظواهرهم وبواطنهم هم الصادقون). فإذا صار ظاهر الإنسان وباطنه مطابقًا لما يريد الله منه فإنّ هذا الإنسان يصبح

صادقاً بحسب التعبير القرآني.

وقد تعرّض العلامة الطباطبائي قدّس سرّه<sup>(١)</sup> في ذيل تفسيره لقوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ...﴾ إلى بيان هذا المعنى للصادق بصورة مفصلة من خلال بيانه لتعريف الأبرار وربطه بتعريف الصادقين، ليستنتج بعد ذلك أنّ الأبرار هم الذين صدقوا، فقال قدّس سرّه: «وبالجملة قوله تعالى: (ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر) تعريف للأبرار وبيان لحقيقة حالهم، وقد عرفهم أولاً في جميع المراتب الثلاث من الاعتقاد والأعمال والأخلاق...».

ثمّ قال قدّس سرّه: «فأمّا ما عرفهم به أولاً فابتدأ فيه بقوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾، وهذا جامع لجميع المعارف الحقّة التي يريد الله سبحانه من عباده الإيمان بها، والمراد بهذا الإيمان الإيمان التامّ الذي لا يتخلّف عنه أثره، لا في القلب بعروض شكّ أو اضطراب أو اعتراض أو سخط في شيء ممّا يصيبه ممّا لا ترتضيه النفس، ولا في خلق ولا في عمل، والدليل على أنّ المراد به ذلك قوله في ذيل الآية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فقد أطلق الصدق ولم يقيده بشيء من أعمال القلب والجوارح فهم مؤمنون حقّاً صادقون في إيمانهم كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى

(١) راجع الميزان: ج ١، ص ٤٢٨.



يُحْكَمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥)، وحينئذ ينطبق حالهم على المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان؛ إذ للإيمان مراتب أربع<sup>(١)</sup> هي:

• المرتبة الأولى: مرتبة الإذعان القلبي بمضمون الشهادتين إجمالاً، ويلزمه العمل في أغلب الفروع.

• المرتبة الثانية: وهي مرتبة الاعتقاد التفصيلي لا عن تقليد بل عن أساس يقيني واجتهادي بالحقائق الدينية؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصف: ١٠-١١) وفيه إرشاد المؤمنين إلى الإيمان فالإيمان هذا غير إيمان المرتبة السابقة.

ومن الطبيعي أن يتبع هذا الإيمان الكثير من الأعمال الصالحة وإن تخطى المؤمن بعضها في بعض الموارد.

• المرتبة الثالثة: ويصلها المؤمن بعد أن يأنس بإيمان الدرجة الثانية ويتخلق بأخلاقها وتتمكّن منه تلك الأخلاق بحيث تنقاد لنفسه العاقلة سائر القوى البهيمية والسبعية حتّى يصل إلى المستوى الذي تصفه الروايات بأنّه (يعبد الله كأنّه يراه فإن لم يكن يراه فإنّ

---

(١) راجع الميزان: ج ١، ص ٣٠١-٣٠٣.

الله يراه)، وحتى يصل إلى المستوى الذي لا يجد في باطنه وسره ما لا ينقاد إلى أمر الله تعالى ونهيه أو يسخط من قضائه وقدره، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

• المرتبة الرابعة: وفيها يعبد المؤمن ربه لا كآته يراه بل هو على يقين قلبي من أنه يراه، وهو الذي قال عنه علي عليه السلام لمن سأله: هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال عليه السلام: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره<sup>(١)</sup>. وهكذا قوله عليه السلام: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»<sup>(٢)</sup>. إذ يكشف لمن هم في هذه المرتبة ملكوت السماوات والأرض ويصلون إلى مقام اليقين الذي هو مقام الوقوف على حقائق الأشياء؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥)، ومثل هذا اليقين يوصل أصحابه إلى التوحيد في جميع مراتبه الفعلية والصفاتية والذاتية، فيرون أن كل الوجود لا يوجد فيه شيء إلا بحول الله وقوته، حتى ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم فهي بحول الله وقوته، فهم يرون من خلال حقائق الأشياء وأعيانها أن لا مستقل في الوجود إلا

(١) الكافي: ج ١، ص ٩٧، باب في إبطال الرؤية، ح ٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ١٥٣، باب ٩٣.

الله؛ قال العلامة: «فالإنسان ربما أخذته العناية الربانية فأشهدت له أن الملك لله وحده لا يملك شيء سواه لنفسه شيئاً إلا به، لا رب سواه، وهذا معنى وهبي وإفاضة إلهية لا تأثير لإرادة الإنسان فيه...» فيكون معنى الإيمان حينئذ هو «استيعاب هذا الحال لجميع الأحوال والأفعال؛ قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٢-٦٣) فإن هؤلاء المؤمنين المذكورين في الآية يجب أن يكونوا على يقين من أن لا استقلال لشيء دون الله ولا تأثير لسبب إلا بإذن الله حتى لا يحزنوا من مكروه واقع ولا يخافوا محذوراً محتملاً، وإلا فلا معنى لكونهم بحيث لا يخوفهم شيء ولا يحزنهم أمر»<sup>(١)</sup>.

وهذه المرتبة هي المرتبة العالية من الإيمان، الثابتة للأبرار والصادقين.

ثم استمرّ قدس سرّه في بيان صفات الأبرار فقال: «ثم ذكر تعالى نبذاً من أعمالهم بقوله: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾. ثم ذكر سبحانه نبذاً من جمل أخلاقهم بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾.

(١) الميزان للطباطبائي: ج ١، ص ٣٠٣-٣٠٤.

وأما ما عرّفهم به ثانياً بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، فهو وصف جامع لجمل فضائل العلم والعمل، فإنّ الصدق خلق يصاحب جميع الأخلاق من العفة والشجاعة والحكمة والعدالة وفروعها، فإنّ الإنسان ليس له إلّا الاعتقاد والقول والعمل، وإذا صدق تطابقت الثلاثة فلا يفعل إلّا ما يقول ولا يقول إلّا ما يعتقد، والإنسان مفطور على قبول الحقّ والخضوع له باطنياً وإن أظهر خلافه ظاهراً، فإذا أذعن بالحقّ وصدق فيه قال ما يعتقد وفعل ما يقوله، وعند ذلك تمّ له الإيمان الخالص والخلق الفاضل والعمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)، والحرص في قوله أولئك الذين صدقوا يؤكّد التعريف وبيان الحدّ، والمعنى - والله أعلم - إذا أردت الذين صدقوا فأولئك هم الأبرار<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يتّضح لنا سرّ جعل القرآن الكريم الصديقين في عرض الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ...﴾ (النساء: ٦٩) لأنّ ما يدلّ عليه لفظ الصديقين هو مبالغة من الصدق، وهو على ما بيّناه سابقاً وعلى حدّ قول الطباطبائي: (من لا يكذب أصلاً فهو الذي لا

(١) الميزان للطباطبائي: ج ١، ص ٤٢٩.

يفعل إلا ما يراه حقاً من غير اتباع لهوى النفس ولا يقول إلا ما يرى أنه حق، ولا يرى شيئاً إلا ما هو حق، فهو يشاهد حقائق الأشياء ويقول الحق ويفعل الحق<sup>(١)</sup> ويمكن توضيح قوله قدس سره: (يشاهد حقائق الأشياء) بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً في بيان المرتبة الرابعة من الإيمان، فنقول: إننا إذا قسنا رؤية الأشياء إلى أنفسنا فإننا لا نرى في كثير من الأحيان هذه الأشياء متعلقة بالمبدأ الأعلى سبحانه وتعالى، وإنما نبحث عن علة هذا الشيء أو ذاك من خلال الأدلة، وهذا الأمر هو من مميزات العلم الحسولي، وهو بخلاف العلم الحضورى الذي يرى الأشياء على ما هي عليه في الواقع ونفس الأمر، فهو يرى أن الأشياء الممكنة كلّها قائمة بقيومها سبحانه وتعالى؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٤) وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣) وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥) فلا يوجد في الدار غيره ديار، وكل ما سواه هو عين الفقر والحاجة إليه تعالى؛ ومن هنا ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله: «اللَّهُمَّ أرني الأشياء كما هي»<sup>(٢)</sup>.

(١) الميزان: ج ٤، ص ٤٠٨.

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ج ١، ص ٢١.

وعن علي عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه وفيه وبعده».

فنحن دائماً عندنا من الأشياء مفاهيمها لا حقائقها، وهذه المفاهيم قد تطابق الواقع وقد لا تطابقه، وقد تكون هي عين الواقع وقد لا تكون بل تكون خطأ ووهماً وسراباً.

ومن هنا قد نخبر بما لا يطابق الواقع فلا نكون صادقين خبرياً وإن كنا صادقين مخبرياً لأننا لم نَعَمِدَ الكذب بمعنى الإخبار خلاف الواقع عمداً يستتبع المذمة والعقاب، وأمّا الصادق بالمعنى القرآني الذي يرى حقائق الأشياء فلا يمكن أن يصدر منه إلا الصدق الخبري والمخبري معاً، فلا يقول إلا الحق ولا يفعل إلا الحق ولا يعتقد إلا بما هو الحق، وحينئذ لا يتصور في حقه صدور الخطأ أياً كان وعلى أيّ نحو كان. فلا غرابة إذن في أن يكون مثل هذا الصادق قد ذكر في عرض النبيين في الآية الشريفة.

وعلى حدّ تعبير عرفائنا فإنّ مثل هذا الإنسان هو مظهر الاسم الأعظم سبحانه وتعالى في عالم الإمكان، لأنّه تعالى هو الحقّ ولا يقول إلا الحقّ ولا يفعل إلا الحقّ، فكذلك مظهره لا يكون إلا كذلك، ولكنه سبحانه وتعالى هو الصادق بالذات والاستقلالية، وغيره بالعرض والتبعية.

(٣)

## المتقون ومعية الصادقين

وهنا أمران لابدّ من بحثهما وهما:

### ١. الفرق بين «مع» و «من»

يتّضح من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩) أنّ المتّقين طائفة غير طائفة الصادقين، ولو كانت الطائفتان طائفة واحدة لقال تعالى (اتّقوا الله وكونوا صادقين) لأنّهم هم هم وليسوا غيرهم. ومن هنا فإنّ دلالة هذه الآية من قبيل دلالة قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) حيث إنّ المؤمنين طائفة ومن أمروا بطاعتهم طائفة أخرى، بداهة أنّ الولي لا يمكن أن يكون نفس المولى عليه ولا المولى عليه يمكن أن يكون نفس الولي، فلسائر المؤمنين طبقة ودرجة ولولاة الأمر طبقة ودرجة أعلى.

ثمّ إنّ في استخدام «مع» في الآية الشريفة دلالة على أنّ المتّقين لا يمكنهم أن يكونوا من الصادقين وفي عَرَض واحد وإياهم بل

عليهم أن يكونوا ملتحقين بهم وفي رفقتهم وصحبته، إذ هناك فرق بين استخدام «مع» واستخدام «من»، هذا الفرق الذي يمكن بيانه بصورة واضحة من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩) حيث بينت الآية أن من يطع الله والرسول يكون ملحقاً وملتحقاً بالذين أنعم الله عليهم ورفيقاً وصاحباً وتابعاً لهم لا أنه فرد منهم؛ إذ لا يعقل أن كل من يطع الله والرسول يكون نبياً مثلاً، وفي قوله تعالى ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ قرينة أكيدة على المعنى الذي أشرنا إليه، من دلالة «مع» على اللحق والرفقة والصحبة. قال العلامة في الميزان: «وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يدل على اللحق دون الصيرورة، فهو لاء ملحقون بجماعة المنعم عليهم... غير صائرين منهم»<sup>(١)</sup>.

وهذا كله بخلاف ما لو قالت الآية الشريفة (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ) فإنها ستدل حينئذ على أن المتقي سيكون فرداً من الصادقين لدلالة «من» على البعضية والجزئية.

ومن هنا يتبين أن بعض الروايات التي ترد بلسان (إن من قام

(١) الميزان للطباطبائي: ج ٤، ص ٤٠٧.



بالعمل الكذائي فهو معنا - أي مع المعصومين - في الجنة) وما شابه ذلك، لا تعني أنّ من يقوم بهذه الأعمال سيكون كالمعصومين بل سيكون ملحقاً بهم، وله درجة غير درجتهم لبداية رجحان درجة الملحق على درجة من يلحق به.

## ٢. معنى المعية في قوله تعالى ﴿وكونوا مع الصادقين﴾

ولنا أن نتساءل هنا عن معنى (المعية) التي أوجبت الآية الشريفة على المتّقين أن يكونوا بها مع الصادقين، إذ أنّ للمعية معنيين هما:

• المعنى الأوّل: هو المعية الجسميّة، بحيث يكون أحد الشّيئين بجانب الآخر ومصطحباً وصاحباً له بجسمه فقط دون أي أمر آخر.

وقد حاول جملة من الباحثين إثبات هذه المعية لكي يثبتوا من خلالها المناقب والفضائل لأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله حتّى وإن لم يكونوا معه صلى الله عليه وآله اعتقاداً وعملاً وسلوكاً.

ومن الواضح، أنّ مثل هذه المعية ليست عاجزة فقط عن إثبات منقبة وفضيلة لصاحبها، بل لعلّها تكون وبالأعلى عليه إذا لم يؤدّ حقّها؛ لأنّ بمثل هذه الصّحبة يتمّ على الإنسان من الحجّة ما لا يتمّ على غيره.

ثمّ إنّنا لم نجد من النقل ما يؤيّد مثل هذه الدعوى أيضاً.  
وعلى هذا فلا دليل عقلياً ولا نقلياً على أنّ هناك فضيلة لصحبة  
المتّقين للصادقين جسمياً فقط، ولا يتحقّق من خلاها أمر أو غاية  
مهمّة، فلا معنى حينئذ للأمر بها وإيجابها على المتّقين.

• المعنى الثاني: وهو أن يكون المتّقى مع الصادقين على نحو  
التابع لهم والمقتدي بهم في الأقوال والاعتقادات والسلوكات، وهذا  
المعنى هو المعنى المختار.

ثمّ إنّ استخدام (مع) وأمر المتّقين بالكون (مع) الصادقين هنا  
يدلّ على أنّ الصادقين هم الأصل الذي يجب اللّحوق بهم والرجوع  
إليهم والافتداء بهم واتباعهم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ  
اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّاهَ  
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّاهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

## الفصل الثاني

### في الاستدلال بالآية المباركة على الإمامة

- الإمامة العامّة.
- الإمامة الخاصّة.



## البحث الأول

### في الإمامة العامة

يمكن تقسيم هذا الفصل وهو فصل الاستدلال بالآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إلى بحثين: البحث الأول في (الإمامة العامة) والبحث الثاني في (الإمامة الخاصة) حيث سنتعرض في بحث (الإمامة العامة) إلى:

أ: كيفية الاستدلال على عصمة الصادق ووجوده، أولاً.

ب: إقامة الدليل على وجوده في كل زمان، ثانياً.

وكما هو واضح فإن هذه المرحلة من البحث ترتبط بمفهوم الإمامة العامة ولا علاقة لها بتحديد مصاديق الأئمة عليهم السلام وبيان هويّتهم وأسمائهم وعددهم عليهم السلام، وما شاكل ذلك.

١. في كيفية الاستدلال على عصمة الصادق ووجود المعصوم بالإمكان أن نسلّك في هذا الخصوص أحد طريقتين هما:

الطريق الأول: يتم الاستدلال فيه على عصمة الصادق مباشرة من خلال ما توصّلنا إليه من معنى الصادق قرآنياً، حيث قلنا إنّ

الصادق قرآناً هو من لا يعتقد إلا الحق ولا يقول إلا الحق ولا يفعل إلا الحق، فهو صادق على مستوى الاعتقاد والعمل والأخلاق، بحيث استوى ظاهره وباطنه وكان كما يريد الله تعالى منه، فكيف يتصور صدور الخطأ عمداً أو سهواً أو اشتباهاً من مثل هذا الإنسان، وكيف لا يكون معصوماً؟

وبعد أن يثبت لنا أن الصادق قرآناً هو المعصوم، فإننا وبدليل الأمر بالكون معه واتباعه والاقتداء به نستنتج ضرورة وجوده، وإلا لما كان بمقدور المكلف أن يمثل هذا الأمر، والأمر بغير المقدور غير جائز.

الطريق الثاني: ويتم الاستدلال فيه من خلال عدة خطوات:

• الخطوة الأولى: وتقوم على أساس التدبر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ حيث يتبين أن هذه الطائفة التي أمرت بالتقوى وبأن تكون مع الصادقين وأن تتبعهم وتتخذهم قدوة لها هي سنخ طائفة يمكن أن يصدر عنها الخطأ، ولو لم تكن جائزة الخطأ لما كان هناك معنى لأمرها بالتقوى، فلأنها يمكن أن تخطئ ويمكن أن لا تخطئ أمرت بالتقوى والتحرز عن الوقوع في الخطأ.

• الخطوة الثانية: وتقوم على أساس التحقيق في إطلاق أو تقييد الأمر بالكون مع الصادقين، حيث يتبين بعد ذلك أن هذا الأمر

الصادر إلى المتقين أمر مطلق باتّباع الصادقين وغير مقيد بأي شرط، لا بشرط زمان أو مكان أو عمل معيّن وما شابه ذلك.

• الخطوة الثالثة: وفيها نتساءل، بعد أن أثبتنا في الخطوتين السابقتين أنّ الخطأ جائز في حقّ من أمر باتّباع الصادق وأنّ هذا الأمر بالاتّباع مطلق، نتساءل: هل يمكن أن يكون الصادقون ممن يجوز أن يصدر الخطأ منهم أيضاً؟

والجواب: إنّ لا يمكن أن يكون الصادقون من الذين يجوز أن يصدر الخطأ منهم ولو نسياناً أو اشتباهاً، إذ لو جاز ذلك لما صحّ أن يؤمر المتّقون باتّباعهم اتّباعاً مطلقاً، وذلك لأنّ الله تعالى يكون قد أمرنا باتّباع الخطأ في حالة صدوره منهم وبأي شكل كان، والخطأ لا يمكن أن يأمر الله تعالى به. فتحصل أنّه لا مجال لافتراض صدور الخطأ مطلقاً من الصادقين، لأنّه يؤدي بالنتيجة إلى اجتماع النقيضين، وهو محال.

وهكذا تثبت عصمة الصادقين في الآية المباركة، ويكون معناها حينئذ: يا أيّها الذين يجوز صدور الخطأ منكم إذا أردتم أن تعصموا أنفسكم من الخطأ والزلل والضلال فاتّقوا الله وكونوا مع الذين لا يخطئون مطلقاً، وتعبير آخر: إنّ الآية تريد أن تقول: يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع المعصومين.

• **الخطوة الرابعة:** ولا شك أن هذا الاستدلال في حال كونه يثبت أن الصادقين معصومين، يثبت وجود المعصوم في أمة النبي صلى الله عليه وآله وإلا كيف يؤمر المتقين أمراً مطلقاً بالكون مع المعصوم واتباعه وهو غير موجود؟ وهل هذا إلا تكليف بغير المقدور وهو غير جائز؟

### استدلال ابن شهر آشوب والفخر الرازي

استدل كل من ابن شهر آشوب (٤٨٠-٥٨٣هـ) - من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام - والفخر الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) - من علماء مدرسة الخلفاء - على عصمة الصادق ووجوده باستدلال مشابه يقترب مما ذكرناه سابقاً:

قال ابن شهر آشوب في «متشابه القرآن ومختلفه»:

«قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فأمرنا سبحانه بالكون مع الصادقين، والأمر بالكون معهم في المكان لا فائدة فيه، فتقتضي الآية وجوب الاقتداء بهم؛ لأنه أمر مطلق من غير تخصيص، وذلك يقتضي عصمتهم؛ لقبح الأمر على هذا الوجه باتباع من لا يؤمن منه القبيح، من حيث يؤدي ذلك إلى الأمر بالقبيح. وإذا ثبت ذلك في الآية ثبت تخصيصها



بالأئمة المعصومين»<sup>(١)</sup>.

وأما الفخر الرازي، فقد قال في تفسيره الكبير: «...إن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر لهم بالتقوى، وهذا الأمر إنما يتناول من يصحّ منه أن لا يكون متّقياً، وإنّما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالة على أن من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة وهم الذين حكم الله بكونهم صادقين»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يتبيّن أن فكرة وجود المعصوم فكرة إسلامية عامّة إلا أن الاختلاف إنّما يقع من جهة مصداق المعصوم ومن هو الذي يمثّله، على ما سيتبيّن لنا لاحقاً.

## ٢. الاستدلال على استمرار وجود المعصوم في كلّ زمان

يمكن إثبات وجود المعصوم في كلّ زمان من خلال قوله تعالى ﴿وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ وذلك لأنّ الأمر بالكون أمر مطلق غير محدّد بزمان معيّن، كما أنّه أمر مشروط بوجود الصادق المعصوم، وإلاّ كيف يتسنّى اتّباعه وهو غير موجود، فثبت وجوب وجود المعصوم في كلّ زمان لأنّه - أي وجوده - الشرط الذي يتمّ به

(١) متشابه القرآن ومختلفه، لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٤٩، ط. بيدار.

(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي: ج ١٦، ص ٢٢١.

الواجب - أي الكون معه - وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ويمكن تقريب هذا الاستدلال بشكل آخر فنقول: إنّ وجود المتقين الذين يجوز الخطأ منهم، وحاجتهم إلى الاقتداء بالمعصوم الذي لا يصدر عنه الخطأ مطلقاً، (هذا الوجود وهذه الحاجة) أمران قائمان ومستمرّان في كلّ الأزمان، ولا يمكن ترجيح وجودهما في آن على آن، ولهذا كانت الضرورة داعية إلى وجود المعصوم في كلّ زمان، لسدّ هذه الحاجة، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان كان.

وقد استدللّ الفخر الرازي بمثل هذا في تفسيره، فهو بعد أن يثبت أنّ الصادقين هم المعصومون يقول: «فهذا يدلّ على أنّه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ، حتّى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان فوجب حصوله في كلّ الأزمان»<sup>(١)</sup>.

وهكذا يتبيّن لنا كم يكون القول بولادة المهدي عجل الله فرجه، واستلامه للإمامة بعد أبيه العسكري عليه السلام مباشرة وبقائه حيّاً إلى يومنا هذا، منسجماً مع ما دلّت عليه الآية الشريفة من ضرورة وجود المعصوم عليه السلام على الأرض في كلّ زمان.

---

(١) التفسير الكبير، للرازي: ج ١٦، ص ٢٢١.

## خلاصة الاستدلال

الخلاصة: إنّ الآية الشريفة ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ قد أثبتت أصليين عقائديين مهمّين هما:

الأول: وجود المعصوم عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله.

الثاني: ضرورة وجود المعصوم في كلّ زمان.

وبتتبع أقوال علماء كلتا المدرستين يتبيّن لنا أنّ هاتين المقولتين ليستا من مختصّات الفكر الشيعي، بل هما مشتركتان بين كلتا المدرستين وإن اختلفت إحداهما عن الأخرى في تحديد مصداق المعصوم وشخصه.

وأما ما يبدو للكثيرين من أنّ هذه الأفكار هي من مختصّات الفكر الشيعي فلا أساس له من الصّحّة، لأنّه تصوّر نابع إمّا من خطأ المنهج المتّبع في البحث، أو من تعمد طمس الحقائق وكتّانها وتحريفها.



## البحث الثاني

### في الإمامة الخاصة

يتولّى هذا البحث دراسة أبعاد الإمامة الخاصة فيدرس من هم الأئمّة؟ وما عددهم؟ وما هي صيغ إثبات إمامتهم؟ وما خصائص كلّ منهم؟ ومن هو الإمام في عصرنا الحاضر؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المرتبطة - إن صحّ التعبير - في المصداق الخارجي للإمامة لا بمفهومها العام. وسنحاول - إن شاء الله تعالى - التعرّض إلى أهمّ المسائل في هذا البحث تاركين البحث في غيرها إلى فرصة أخرى.

#### أولاً: من هم الصادقون؟ وكيف نثبت ذلك؟

تبيّن في البحوث السابقة أنّ الآية الشريفة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أمرت المؤمنين بالتقوى واتباع الصادقين وهم المعصومون.

وقد وقع الاختلاف بين علماء المسلمين في مصداق هؤلاء الصادقين المعصومين، ومن هم؟ حيث تعدّدت الآراء في هذا المجال وتكثّرت، ومن أهمّها:

• **الرأي الأول:** إنّ المراد بالصادقين هنا هم مجموع الأمة، وهذا معناه أنّ الأمة الإسلامية إذا اجتمعت على أمر ما، فإنّ ذلك يكون أمراً صحيحاً، وإذا اختلفوا في أمر ما فلا يمكن اتّباعه، وهذا ما صرّح به الفخر الرازي في تفسيره الكبير، فبعد أن أثبت - على حدّ مدّعه - بأنّ الصادق هو المعصوم ولكن ليس الذي تقول به الشيعة، قال: «ثبت أنّ قوله ﴿وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ ليس أمراً بالكون مع شخص معيّن، ولما بطل هذا بقي أنّ المراد منه الكون مع مجموع الأمة، وذلك يدلّ على أنّ قول مجموع الأمة حقّ وصواب ولا معنى لقولنا (الإجماع حجة) إلّا ذلك»<sup>(١)</sup>.

ولو كنّا نحن وهذا الاحتمال لما ثبت من الدين إلّا الشهادتان وبعض الضروريات الأخرى منه، ولما تمكّنا من الأخذ بجملّ المعتقدات وأكثر الأحكام، ولعُطّل الدين في جانب عظيم منه؛ لبداهة أنّ الأمة لم تجمع إلّا على عدد محدود من المسائل من بين آلاف المسائل المطروحة بينها.

وقد حاول الرازي أن يجعل مجموع الأمة متمثلاً بأهل الحلّ والعقد في محلّ آخر من تفسيره الكبير<sup>(٢)</sup> بمناسبة تفسير قوله تعالى:

(١) التفسير الكبير، للرازي: ج ١٦، ص ٢٢١.

(٢) التفسير الكبير، للرازي: ج، ص ١٤٤.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩). غير أن هذه المحاولة لا تنفع في ترجيح هذا الرأي لأنها بالإضافة إلى ابتلائها بالإشكال المثار أولاً، فإننا نتساءل أيضاً عن خصوصيات أهل الحل والعقد هؤلاء، وما هو عددهم؟ وكيف يتم اختيارهم؟ وفي أي مكان نعتمدهم؟ إلى غير ذلك من التساؤلات، ولما كانت الإجابة عن هذه التساؤلات متعددة ومختلفة ومتضاربة، فإنه يتعذر الوصول إلى أهل العقد والحل هؤلاء، ولا يمكن معرفتهم والقطع بهم، فكيف نؤمر بالالحق بهم واتباعهم؟

• الرأي الثاني: ذهب أصحاب هذا الاحتمال إلى أن المراد بالصادقين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا اجتمعوا أخذ الناس بما اجتمعوا عليه وإن اختلفوا فلا.

ولكن هذا الرأي يضطدم بالأمر الواقع أيضاً، فمتى اجتمع أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله في أممات المسائل التي واجهت الأمة؟ وعلى كم اجتمعوا؟ لكي يتمكن من أمر بالتقوى أن يكون معهم وأن يتبعهم؟

ولعل هذه الحقيقة، ونعني بها عدم اجتماع الصحابة تأريخياً على ما يهّم الأمة من المسائل، هي التي أدت إلى أن يجهد القوم أنفسهم وبأي شكل كان لكي يثبتوا وقوع الإجماع في سقيفة بني ساعدة

ليصحّحوا بهذا الإجماع بعد ذلك الخلافة التي انبثقت عنها، والحقّ أنّ دون إثبات هذا الإجماع خرط القتاد.

• الرأي الثالث: إنّ الصادقين هم الأنبياء السابقون، فما على الإنسان إلّا أن يبحث عن مواقف مئة وأربعة وعشرين ألف نبي ليكون معهم وتابعا لهم.

ولا أدلّ على استبعاد هذا الاحتمال من كونه من الأمور غير المقدور عليها عملياً ولا طاقة للمكلف بها.

وهكذا يستمرّ طرح الاحتمالات، التي تواجه الواحدة تلو الأخرى منها بالعديد من الاعتراضات والإشكالات.

ومن هنا كان لزاماً علينا أن نرجع إلى القرآن الكريم والروايات الشريفة لتبيّن من خلال ذلك حقيقة مصداق الصادقين، ومن هم المعنيّون بذلك، ولنقف على حقيقة ما تنازعنا فيه؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩).

ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ذكرت الآية خواصّ عديدة للأبرار ثمّ بيّنت أنّ مرادها من الأبرار هم الصادقون، فقالت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا...﴾ فالأبرار هم الصادقون والصادقون هم الأبرار، وهذا ما بيّناه سابقاً بصورة مفصّلة.



ثم إن لفظة (الأبرار) قد وردت في آيات عديدة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا \* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا \* يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا \* وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الدھر: ٩-٥).

إن البحث في أسباب نزول آيات سورة الدھر، سوف يبيّن لنا مصداق الأبرار ومن هم الأبرار المذكورون في هذه الآيات الشريفة، وحينها سيتبيّن لنا أنه لا اختلاف بين علماء الإسلام ومن كلا الفريقين في أنّ هذه الآيات قد نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهم الأبرار إذن وهم الصادقون لا غيرهم؛ قال العلامة الطباطبائي: «والذي يجب أن يُتنبّه له أنّ سياق هذه الآيات سياق الاقتصاص، تذكر قومًا من المؤمنين تسميهم الأبرار وتكشف عن بعض أعمالهم وهو الإيفاء بالنذر وإطعام مسكين

(١) الظاهر أنّ مراده - والله أعلم - من عباد الله المعنى الخاص للعباد لا المعنى العام لأنّ مطلق العبودية لا اختصاص لها بهم؛ لوجودها فيهم وفي غيرهم. ومثل هذا الأمر متعارف في القرآن الكريم، فله تعالى رحمة خاصة وعامة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وله معية عامة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ وله معية خاصة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهكذا.

ويقيم وأسير، وتمدحهم وتعدّهم الوعد الجميل.

فما تشير إليه من القصّة سبب النزول، وليس سياقها سياق فرض موضوع وذكر آثاره الجميلة، ثمّ الوعد الجميل عليها، ثمّ إنّ عدّ الأسير فيمن أطعمه هؤلاء الأبرار نعم الشاهد على كون الآيات مدنية فإنّ الأسير إنّما كان بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وظهور الإسلام على الكفر والشرك لا قبلها»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر العلامة في الميزان عدداً كبيراً من المصادر التي ذكرت القصّة، قال: «ففي الكشف»<sup>(٢)</sup>: (وعن ابن عباس أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك (ولديك ظ) فنذر علي وفاطمة وفضّة جارية لهما إن برئاً ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شيء).

فاستقرض عليّ من شمعون الخيرى اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل وقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد! مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني

(١) الميزان للطباطبائي: ج ٢٠، ص ١٢٧.

(٢) الكشف: ج ٤، ص ٦٧٠، ط بيروت.

أطعمكم الله من موائد الجنة. فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً.

فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيماً فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ عليّ بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم، فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها، فسأه ذلك، فنزل جبرئيل وقال: خذها يا محمد هنّاك الله في أهل بيتك. فأقرأه السورة).

أقول: الرواية مروية بغير واحد من الطرق عن عطاء عن ابن عباس ونقلها البحراني في غاية المرام عن أبي المؤيد الموفق بن أحمد في كتاب فضائل أمير المؤمنين بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، وعنه بإسناد آخر عن الضحّاك عن ابن عباس، وعن الحموي في كتاب فرائد السمطين بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، وعن الثعلبي بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس، ورواه في المجمع عن الواحدي في تفسيره.

وفي مجمع البيان أيضاً عن أبي حمزة الثمالي في تفسيره قال: حدّثني

الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن أنّها مدنية نزلت في عليّ وفاطمة السورة كلّها.

وفي تفسير القمّي عن أبيه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة فلمّا أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال: مسكين رحمكم الله. فقام عليّ عليه السلام فأعطاه ثلثاً فلم يلبث أن جاء يتيّم فقال: اليتيم رحمكم الله فقام عليّ عليه السلام فأعطاه الثلث ثمّ جاء أسير، فقال الأسير: رحمكم الله. فأعطاه عليّ عليه السلام الثلث، وما ذاقوها، فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم وهي جارية في كلّ مؤمن فعل ذلك لله عزّ وجلّ<sup>(١)</sup>.

كما يمكن مراجعة القصّة في:

١. (شواهد التنزيل) للحسكاني الحنفي ج ٢ ص ٢٩٨.
٢. (تذكرة الخواص) للسبط بن الجوزي الحنفي ص ٣١٢-٣١٧.
٣. (أسد الغابة) لابن الأثير الجزري الشافعي ج ٥ ص ٥٣٠-٥٣١.
٤. (تفسير الفخر الرازي) ج ١٣ ص ٢٤٣، ط البهية، مصر.
٥. (فتح القدير) للشوكانبي ج ٥ ص ٣٤٩، ط ١.
٦. (الدرّ المنثور) للسيوطي ج ٦ ص ٢٩٩.

---

(١) الميزان للطباطبائي: ج ٢٠، ص ١٣٣.

٧. (ذخائر العقبي) ص ٨٨ و ص ١٠٢.
  ٨. (العقد الفريد) لابن عبد ربّه المالكي ج ٥ ص ٩٦، ط ٢.
  ٩. (معالم التنزيل) للبعوي الشافعي بهامش تفسير الخازن ج ٧ ص ١٥٩.
  ١٠. (الإصابة) لابن حجر، ج ٤ ص ٣٨٧، ط: السعادة.
  ١١. (تفسير البيضاوي) ج ٥ ص ١٦٥، ط: بيروت.
  ١٢. (الغدير) للأميني ج ٣ ص ١٠٧-١١١.
  ١٣. (إحقاق الحق) للتستري ج ٣ ص ١٥٨-١٦٩.
  ١٤. (ينابيع المودة) للقندوزي الحنفي ص ٩٣ و ٢١٢، ط: إسلامبول.
  ١٥. (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد، ج ١ ص ٢١ و ج ١٣ ص ٢٧٦، ط: مصر.
  ١٦. (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) ج ١ ص ٢٥٤.
- وغيرها من المصادر المعتبرة لدى الفريقين.
- ومن الآيات الأخرى التي تعرّضت لذكر (الأبرار) قوله تعالى:
- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ \* تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ \* يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ \* خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ \* وَمِمَّا جُهِ مِنْ تَسْنِيمٍ \* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا

الْمُقَرَّبُونَ ﴿المطففين: ٢٢-٢٨﴾<sup>(١)</sup>.

ثم وصف تعالى المقرّبين بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \*  
أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الواقعة: ١٠-١٢).

(فالأبرار) إذن هم: (المقربون) وهم (السابقون) وبالرجوع إلى الروايات الشريفة - ولدى المدرستين معاً - نجد أن المقرّبين والسابقين ما هم إلا أهل البيت عليهم السلام فنخلص إلى أن (الأبرار الصادقين) ما هم إلا أهل البيت عليهم السلام.

في تفسير القمّي في قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام»<sup>(٢)</sup>.

وفيه عن علي بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أشرف شراب أهل الجنة يأتيهم في عالي تسنيم وهي عين يشرب بها المقربون، والمقربون آل محمد، يقول الله ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ رسول الله وخديجة وعلي بن أبي طالب وذرياتهم تلحق

---

(١) يذكر عادة أن فوق درجة الأبرار هناك درجة المقرّبين ومن هنا أرادت الآية أن تبين أن اتّصاف هؤلاء بصفة الأبرار لا يعني أنهم ليسوا من المقرّبين، فهم أبرار وعباد الله ومقربون ....

(٢) تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤١١.

بهم»<sup>(١)</sup>.

وفي القمّي أيضاً، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ «فأنا من السابقين وأنا خير السابقين»<sup>(٢)</sup>.

وأما من كتب العامّة فيمكن مراجعة المصادر التالية في شأن نزول قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وأنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام:

١. شواهد التنزيل للحسكاني ج ٢ ص ٢١٣ ح ٩٢٤-٩٣١.

٢. الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ١٥٤.

٣. الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ١٢٣، ط: المحمّدية.

٤. ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٦٠ ص ١١٥، ط: اسلامبول.

٥. تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٨٣.

٦. روح المعاني للآلوسي ج ٢٢ ص ١١٤.

٧. البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٢٣١.

٨. فضائل الخمسة ج ١ ص ١٨٤.

٩. منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٣٠.

---

(١) تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤١٢.

(٢) تفسير القمّي: ج ٢، ص ٣٤٧.

هذا بالإضافة إلى أن هناك العديد من الروايات التي وردت بخصوص الآية مورد البحث ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وبيّنت بصورة مباشرة أن المراد من الصادقين هنا هم النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام؛ منها:

#### ١. ما ورد في كتاب إحقاق الحق

قال: «الحادي والثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ الآية ١١٩ في سورة التوبة. روى الجمهور أنها نزلت في عليّ. وكذا قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾»<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر صاحب إحقاق الحق في الحاشية ما يلي: «ذكر ذلك أنها نزلت في أمير المؤمنين جماعة من أكابر القوم - من علماء مدرسة أتباع الخلفاء - منهم:

• العلامة الثعلبي في تفسيره المشهور، قال: قال ابن عباس في هذه الآية ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا...﴾: يعني مع علي بن أبي طالب وأصحابه.

• العلامة الكنجي في كفاية الطالب، ذكر ذلك أيضاً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ قال: مع علي بن أبي طالب.

(١) إحقاق الحق: ج ٣، ص ٢٩٦.



• ورواه محدّث الشام في تاريخه في ترجمة علي عليه السلام وذكر طرقه.

• ومنهم العلامة سبط بن الجوزي في التذكرة، قال: قال علماء السير معناه كونوا مع علي وأهل بيته.

• ومنهم العلامة صاحب كتاب شرف النبيّ.

• ومنهم العلامة الخركوشي في شرف المصطفى.

• ومنهم العلامة أبو يوسف يعقوب بن سفيان روى عن أنس

بن مالك عن عمر ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾: مع محمّد وأهل بيته عليهم السلام.

• ومنهم العلامة أخطب خوارزم في فضائل علي كما في كفاية

الخصام، قال روى بسنده عن ابن عباس أنّها نزلت في علي.

• ومنهم العلامة السيوطي في الدرّ المنثور، قال: مع علي بن أبي

طالب.

• وهكذا أخرج ابن عساكر عن الباقر ﴿وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾

يعني مع علي.

• ومنهم العلامة الشوكاني في تفسيره.

• ومنهم الألوسي في روح المعاني.

• ومنهم الشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودّة، قال: أخرج

معرفت بن أحمد الخوارزمي عن أبي صالح عن ابن عباس وأخرج

أبو نعيم الحافظ الحموي أخرجاه عن ابن عباس وأخرج أبو نعيم أيضاً عن جعفر الصادق وأخرج أبو نعيم أيضاً وصاحب المناقب عن الباقر والرضا، قال: الصادقون هم الأئمة من أهل البيت.

- ومنهم صاحب كتاب أرجح المطالب.
- ومنهم العلامة أبو اليقظان في صفوة الزلال المعين.
- ومنهم العلامة المير محمد صالح الكشفي الترمذي.
- وغيرهم كثير.

٢. ما ورد في تفسير البرهان للسيّد هاشم البحراني<sup>(١)</sup>

- عن بريدة بن معاوية العجلي: قال سألت أبا جعفر عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ قال: إيانا عنى.
- وقوله أيضاً عن أبي الحسن الرضا، قال سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ قال: الصادقون هم الأئمة.

- عن جابر بن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ قال: يعني مع علي بن أبي طالب.
- وفي حديث المناشدة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله أنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

(١) البرهان للبحراني: ج ٢، ص ١٧٠.

الصَّادِقِينَ ﴿ فَقَالَ سَلِمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَامَّةٌ هِيَ أَمْ خَاصَّةٌ؟ قَالَ: أَمَّا الْمَأْمُورُونَ فَالْعَامَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرُوا بِذَلِكَ، وَأَمَّا الصَّادِقُونَ فَخَاصَّةٌ لِأَخِي عَلِيٍّ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

• وعن أَبِي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهُ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ كَأَنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ هَكَذَا ضَالًّا، قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: يَصْدُقُ اللَّهُ وَيَصْدُقُ مُحَمَّدًا، يَصْدَقُهُ فِي مَوَالَاةِ عَلِيٍّ وَالْإِتِّمَامِ بِهِ وَبِأُتَمَّةِ الْهُدَى مِنْ بَعْدِهِ، وَالْبِرَاءَةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ. وَكَذَلِكَ عَرَفَانَ اللَّهَ. قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، أَيُّ شَيْءٍ إِذَا عَلِمْتَهُ أَنَا اسْتَكْمَلْتُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: تَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَتَعَادِي أَعْدَاءِ اللَّهِ وَتَكُونُ مَعَ الصَّادِقِينَ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ، قَالَ: قُلْتُ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَمَنْ أَعْدَاءُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَالْحُسَيْنُ وَالْحُسَيْنُ ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْنَا ثُمَّ ابْنِي جَعْفَرٌ وَأَوْمَأَ إِلَى جَعْفَرٍ وَهُوَ جَالِسٌ، فَمَنْ وَالِي هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَالِي أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَكَانَ مَعَ الصَّادِقِينَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ.

### الخلاصة

يَتَبَيَّنُ لَنَا بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ وَبِمُسَاعَدَةِ الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ أَنَّ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ هُمْ الْأَبْرَارُ وَهُمْ السَّابِقُونَ وَهُمْ الْمُقَرَّبُونَ لَيْسُوا هُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأُتَمَّةُ الْمُعْصُومُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثم بعد أن تبين لنا أن (الصادقين) في الآية المباركة هم النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وبعد أن تعرّفنا على أسماء عدد منهم عليهم السلام من خلال بعض الروايات التي أوردناها، لا بدّ وأن نتطرّق إلى الأمور الأخرى التي لا بدّ من بحثها في (الإمامة الخاصة)، ومن أهمّها: حصر عدد الأئمة عليهم السلام باثني عشر إماماً، وتسمية هؤلاء الأئمة بأسمائهم، وأنّ الإمام المعصوم في زماننا هو المهدي الحجة بن الحسن عجل الله فرجه وأنّه حيّ غائب منتظر سيظهر بعد أن يأذن الله له تعالى بذلك.

### ثانياً: عدد الأئمة اثنا عشر إماماً

تبني أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام حصر عدد الأئمة باثني عشر إماماً تبعاً لما بين أيديهم من الروايات الصحيحة الدالة على ذلك.

وقد ذكر المحقّق آية الله الصافي في كتابه القيم (منتخب الأثر) أنّ الروايات التي ذكرت أنّ الخلفاء من بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هم اثنا عشر، قد تصل إلى ما يتجاوز (٢٧٠ رواية) من طرق الفريقين<sup>(١)</sup>.

---

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: ط ٣، ص ١٠.

ولعلّ العدد أكثر من ذلك بكثير، كما ورد في «معجم أحاديث الإمام المهدي»<sup>(١)</sup>.

وكنموذج على ذلك فقد خرّج مضمون هذا الحديث كلّ من: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسنند أحمد، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، والمعجم الكبير للطبراني، وحلية الأولياء، ومستدرك الحاكم، وصحيح مسلم بشرح النووي، ومشكاة المصابيح، والسلسلة الصحيحة للألباني، وعود المعبود في شرح سنن أبي داود، والصواعق المحرقة، وتاريخ الخلفاء، وكنز العمال، وغيرهم كثير<sup>(٢)</sup>.

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ج ٢، ص ٢٦٥، نشر مؤسّسة المعارف الإسلامية.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف: ج ٤ ص ١٦٤؛ صحيح مسلم: ج ٢ ص ١١٩، كتاب الإمارة، أخرجه بتسعة طرق؛ مسند أحمد: ج ٥ ص ٩٠ و ٩٣ و ٩٧ و ١٠٦ و ١٠٧؛ سنن الترمذي: ج ٤ ص ٥٠١؛ سنن أبي داود: ج ٤ ص ١٠٦ ح ٧٢٧٩ و ٤٢٨١؛ المعجم الكبير للطبراني: ج ٢ ص ٢٣٨ ح ١٩٩٦؛ حلية الأولياء: ج ٤ ص ٣٣٢؛ مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ٦١٨؛ صحيح مسلم بشرح النووي: ج ١٢ ص ٢٠١؛ مشكاة المصابيح للتبريزي: ج ٣ ص ٣٢٧ ح ٥٩٨٣؛ السلسلة الصحيحة للألباني: ح ٣٧٦؛ عون المعبود في شرح سنن أبي داود: ج ١١، ص ٢٦٢، شرح الحديث ٤٢٥٩؛

ومن هذه الروايات: أخرج البخاري بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «يكون اثنا عشر أميراً - فقال كلمة لم أسمعها - فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أحمد بن حنبل في مسنده عن مسروق، قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرأ القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! هل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل»<sup>(٣)</sup>.

هذا بالإضافة إلى عشرات المصادر الشيعية.

الصواعق المحرقة: ص ١٢؛ تاريخ الخلفاء: ص ١٠؛ كنز العمال: ج ١٣ ص ٢٧.

(١) صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٦٤، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف.  
(٢) صحيح مسلم: ج ٢ ص ١١٩، باب: الناس تبع لقريش، أخرجه من تسعة طرق.

(٣) مسند أحمد: ج ٥ ص ٩٠.

## خصائص الروايات

تمتاز هذه الروايات التي ذكرت بهذه الكيفية، وهذا العدد من الأسانيد والطرق من الصدر الأول إلى يومنا هذا، بمجموعة من الخصوصيات هي:

**الخصوصية الأولى:** أنّ هذه الروايات لا يمكن لأحد أن يتّهم أتباع أهل البيت عليهم السلام بوضعها واختلاقها، بعد أن آمنوا بأنّ عدد الأئمة اثنا عشر، وذلك لورودها في أهمّ الصحاح والمسانيد السنّية قبل ذكرها في المصادر الشيعية، وأنّ جملة من طرقها تعدّ موثوقة لديهم حسب الموازين الرجالية عندهم، مضافاً إلى أنّ هذا العدد ذكر قبل أن يكتمل عدد الأئمة عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

**الخصوصية الثانية:** أنّ عدداً كبيراً من هذه الروايات من طرق الفريقين شبّهت هؤلاء الأئمة والخلفاء بأنّهم كنقباء بني إسرائيل،... ومقتضى هذا التشبيه كما يقول السيّد محمّد تقي الحكيم أن يكون هؤلاء الأمراء معيّنين بالنصّ، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ (المائدة: ١٢) وعلى هذا الأساس فلا يمكن الوقوف على هؤلاء الخلفاء والأئمة من خلال اختيار الأئمة أو انتخاب أهل الحلّ والعقد، بل لابدّ من

الرجوع إلى من لا ينطق عن الهوى للتعرف عليهم.  
 الخصوصية الثالثة: إنّ هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقي  
 الدين الإسلامي أو حتّى تقوم الساعة.  
 الخصوصية الرابعة: إنّ هذه الروايات أكّدت أنّ هؤلاء الخلفاء  
 كلّهم من قریش.

### ثالثاً: تعيين أسماء الأئمة

صرّح الرسول صلّى الله عليه وآله بأنّ عدد الأئمة من بعده هو: اثنا  
 عشر إماماً، ثمّ شبّههم بـ(نقباء بني إسرائيل) ممّا يدلّ على أنّ تعيينهم  
 لا بدّ وأن يكون بالنصّ لا باختيار الأئمة، ومن هنا فإنّه ومن الطبيعي  
 أن نجد العديد من الروايات التي تعيّنهم وتسمّيهم للأئمة، وهذا ما  
 نجده واضحاً في التراث الحديثي الشيعي الذي تكلم عن هذه  
 الحقيقة بجلاء وستعرّض هنا بإيجاز إلى طريقتين يمكن من خلاهما  
 تعيين مصاديق الأئمة عليهم السلام، وهما:

• **الطريق الأوّل:** وهو الطريق المباشر لتعيينهم من خلال  
 الروايات المنقولة عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله والتي تنصّ  
 عليهم بأسمائهم.

منها: ما ذكره في «ينابيع المودّة» عن كتاب «فرائد السمطين»  
 بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قدّم يهودي يقال له نعل،



فقال: يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك. قال: سل يا أبا عمارة - إلى أن قال السائل - : صدقت. فأخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصي، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال صلى الله عليه وآله: «إن وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوهم تسعة أئمة من صلب الحسين»، قال: يا محمد، فسمهم لي، قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول:

«لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين

---

(١) منتخب الأثر: ص ٩٧، الباب الثامن، فيما يدل على الأئمة الاثني عشر بأسمائهم.

قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف [في التوراة] بالباقر، وستدركه يا جابر فإذا لقيته، فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمّي وكنّي حجة الله في أرضه، وبقيته في عبادته، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله (تعالى ذكره) على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه، غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت: يا رسول الله، فهل ينتفع الشيعة به في غيبته؟ فقال: [إي] والذي بعثني [بالنبوة] يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحب، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله، ومخزون علم الله، فاكتبه إلا عن أهله<sup>(١)</sup>. وروايات المعراج التي تحدّثت عن هذه الحقيقة وذكرت أسماء الأئمة عليهم السلام كثيرة جداً<sup>(٢)</sup>.

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى، للطبرسي: ص ٣٧٥ ط. دار التعارف.

(٢) راجع - مثلاً - إكمال الدين: ج ١ ص ٢٥٢ باب ٢٣ ح ٢.

وقد أحصى الصافي الكلبي إجماعاً في كتابه (منتخب الأثر) أكثر من خمسين رواية في هذا المجال، وقال بعد ذلك: «النصوص الواردة في ساداتنا الأئمة الاثني عشر، بلغت في الكثرة حداً، لا يسعه مثل هذا الكتاب، وكتب أصحابنا في الإمامة وغيرها مشحونة بها، واستقصاؤها صعب جداً»<sup>(١)</sup>.

• الطريق الثاني: وهو طريق نقلٍ أيضاً، ولكنه طوي، ونعني به: أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يعيّن بعضاً من هؤلاء الأئمة من بعده، ثم يقوم كلّ واحد من هؤلاء بتعيين الخليفة الذي يأتي بعده وهكذا، وهذا ما نجده واضحاً في كثير من الروايات التي عيّن فيها كلّ إمام سابق الإمام اللاحق له ونصّ عليه.

### إشكال وجواب

وقد يستشكل على هذا الطريق بأن رواياته إمّا ضعيفة السند أو على فرض صحتها فإنّها روايات آحاد لا يمكن الاعتماد عليها في الأصول الاعتقادية كمبحث الإمامة. ولنا أن نجيب على هذا الإشكال: أولاً: بأننا لا نعتمد على خصوص هذه الروايات لتعيين الأئمة

(١) منتخب الأثر: ص ١٤٥.

عليهم السلام، بل نضيف لها عشرات الروايات التي تحدّثت عن أسمائهم جميعاً، كما في الطريق الأوّل.

ثانياً: إضافة الدليل التاريخي: بالإمكان أن نضيف لهذه الأدلّة دليل آخر لإثبات إمامتهم عليهم السلام هو الدليل التاريخي، وقد قرّره السيّد محمّد تقي الحكيم رحمه الله في كتابه «الأصول العامّة» حيث قال: «إنّ هؤلاء الأئمّة الاثني عشر، قد ادّعوا لأنفسهم الإمامة في عرض السلطات الزمنية، واتّخذوا من أنفسهم، كما اتّخذهم الملايين من أتباعهم، قادة للمعارضة السلميّة للحكم القائم في زمنهم وكانوا عرضة للسجون والمراقبة وكثير منهم قُتل بالسمّ، وفيهم من استشهد في ميدان الجهاد على أيدي القائمين بالحكم، وفي هؤلاء من تولّى الإمامة وهو ابن عشرين سنة كالحسن العسكري عليه السلام، بل فيهم من تولّى منصبها وهو ابن ثمان كالإمامين الجواد والهادي عليهما السلام. ومن المعروف عن الشيعة ادّعاؤهم العصمة لأنّهم الملازمة لدعوى الإحاطة في شؤون الشريعة جميعها، بل ادّعوا الأعلمية في جميع الشؤون وهم أنفسهم صرّحوا بذلك»<sup>(١)</sup>.

ومن كلماتهم في ذلك:

١. عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «نحن شجرة

(١) الأصول العامّة للفقّه المقارن: ص ١٨١.

النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينايع الحكمة»<sup>(١)</sup>.

٢. وعنه عليه السلام أيضاً: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطى الهدى، ويُستجلى العمى، إنّ الأئمة من قریش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم»<sup>(٢)</sup>.

٣. وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلّى الله عليه وآله، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي، وفرعه السامي - إلى أن يقول - الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّ من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهاب» «أتظنون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول صلّى الله عليه وآله، كذبّتهم والله

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٤٤.

أنفسهم، ومنّتهم الأباطيل، فارتقوا مرتقى صعباً دحضاً، نزل إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً، ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً...» «وأنّ العبد إذا اختاره الله عزّوجلّ لأمر عباد، شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد، موقّق مسدّد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباد، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»<sup>(١)</sup>.

ونظير هذه الأقوال كثير في كلام أئمّة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين. من هنا قد يقال: «أما كان بوسع السلطة وهي تملك ما تملك من وسائل القمع، أن تقضي على هذه الجبهة من المعارضة ذات الدعاوي العريضة من أيسر طرقها، وذلك بتعريض أئمّتها لشيء من الامتحان العسير في بعض ما يملكه العصر من معارف، وبخاصّة ما يتّصل بغوامض الفقه والتشريع، ليسقط دعاواها في الأعلمية من الأساس، أو يعرضهم إلى شيء من الامتحان في الأخلاق والسلوك ليسقط ادّعاؤهم العصمة. وإذا كان في الكبار

(١) الأصول من الكافي: ج ١ ص ٢٠٠ ح ١.

منهم عصمة وعلم، نتيجة دربة، فما هو الشأن في ابن عشرين عاماً أو ابن ثمان، فهل تملك الوسائل الطبيعية تعليلاً لتمثلهم لذلك كله. ولو كان هؤلاء الأئمة في زوايا أو تكايا، وكانوا محجوبين عن الرأي العام كما هو الشأن في أئمة الإسماعيلية، أو بعض الفرق الباطنية، لكان لإضفاء الغموض والمناقبية على سلوكهم من الأتباع مجال، ولكن ما نصنع وهم مصحرون بأفكارهم وسلوكهم وواقعهم، تجاه السلطة وغيرها من خصومهم في الفكر، والتأريخ حافل بمواقف السلطة منهم ومحاربتها لأفكارهم، وتعريضهم لمختلف وسائل الإغراء والاختبار، ومع ذلك فقد حفل التأريخ بتناجج اختباراتهم المختلفة وسجلها بإكبار. ولقد حدث المؤرخون عن كثير من هذه المواقف المخرجة، وبخاصة مع الإمام الجواد، مستغلين صغر سنّه عند تولّي الإمامة. وحتى لو افترضنا سكوت التأريخ عن هذه الظاهرة، فإنّ من غير الطبيعي أن لا تحدث أكثر من مرّة، تبعاً لتكرّر الحاجة إليها، وبخاصة أنّ المعارضة كانت على أشدها في العصور العباسية. وطريقة إعلان فضيحتهم بإحراج أئمتهم فيما يدّعونه من علم واستقامة سلوك، وإبراز سخفهم لاحتضانهم أئمة بهذا السنّ وهذا المستوى لو أمكن ذلك، أيسر بكثير من تعريض الأئمة إلى حروب قد يكون الخليفة نفسه من ضحاياها، أو تعريض هؤلاء

الأئمة إلى السجون والمراقبة أو المجاملة أحياناً... وإذا كان للصدفة - وهي مستحيلة - مجالها في امتحان ما، بالنسبة إلى شخص ما، فليس لها موقع بالنسبة إليه في مختلف المجالات، فضلاً عن تكرّرها بالنسبة إلى جميع الأئمة، صغارهم وكبارهم، كما يحدث في ذلك التاريخ. وأظنّ أنّ في هذه الاعتبارات التي ذكرناها مجتمعة ما يغني عن استيعاب كلّ ما ذكر في تشخيص المراد من أهل البيت<sup>(١)</sup>.

وهكذا يخلص السيّد الحكيم قدّس سرّه إلى أنّ السلطة القائمة آنذاك على شدّتها وطغيانها وحاجتها الشديدة لإبطال إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، لم تتمكّن هذه السلطة من إحراج أئمة الشيعة عليهم السلام صغارهم وكبارهم ولو لمرة واحدة طيلة فترة إمامتهم الظاهرة التي دامت إلى عصر غيبة الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه حوالي منتصف القرن الثالث الهجري، هذه الإمامة التي توالى عليها أئمة بلغ عمر بعضهم الثماني سنوات حين تولّى الإمامة، وفي كلّ هذا شاهد على صحّة إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام وصحّة ما ادّعوه لأنفسهم من النصّ عليهم والعصمة والعلمية وباقي صفات وشؤون الإمامة الحقّة.

---

(١) الأصول العامة للفقّه المقارن، محمّد تقي الحكيم: ص ١٨٢.



## رابعاً: الإمام الثاني عشر هو الحجة بن الحسن المنتظر

تعتبر مسألة الإمام المهدي عجل الله فرجه من المسائل الأساسية في بحث الإمامة الخاصة، من هنا ورد التركيز عليها في التراث الشيعي بما يناسب موقعها المهم هذا. كما إن فكرة مجيء المصلح في آخر الزمان، فكرة لا خلاف عليها بين علماء المسلمين عامة، حيث اتفقت كلمتهم إلا من شذ منهم، على أنه لا بد أن يأتي في آخر الزمان من يصلح الأرض، ويملاها قسطاً وعدلاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً. وممن صرح بأحاديث المهدي:

١. الترمذي في (سننه) ج ٤ ص ٥٠٥.
  ٢. الحاكم في (مستدركه) ج ٤ ص ٥٥٣.
  ٣. البغوي في (مصايح السنة) ص ٤٨٨ ح ٤١٩٩.
  ٤. ابن الأثير في (النهاية) ج ٥ ص ٢٥٤.
  ٥. ابن تيمية في (منهاج السنة) ج ٤ ص ٢١١.
  ٦. الذهبي في (تلخيص المستدرک) ج ٤ ص ٥٥٣.
  ٧. التفتازاني في (شرح المقاصد) ج ٥ ص ٣١٢.
  ٨. الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج ٧ ص ٣١٣-٣١٤. وغيرهم.
- وصحَّح النيسابوري كثيراً من روايات المهدي، وعبر عن طائفة منها بأنها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه، كحديث أم

سلمة حول خسف البيداء الذي يكون في زمن المهدي<sup>(١)</sup>، وحديث ابن مسعود «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي»<sup>(٢)</sup>، وحديث «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً»<sup>(٣)</sup>، وحديث محمد بن الحنفية عن أبيه علي عليه السلام أنه قال، وقد سأله رجل عن المهدي: «ذاك يخرج في آخر الزمان»<sup>(٤)</sup>.

بل صرح بعض الأعلام بتواتر هذه الأحاديث مثل:

١. الأبري في (مناقب الشافعي)، كما نقل ذلك المزي في تهذيبه ج ٢٥ ص ١٤٦ / ٥١٨١.

٢. القرطبي في (التذكرة) ص ٧٠١.

٣. العسقلاني في (تهذيب التهذيب) ج ٩ ص ١٢٥-٢٠١.

٤. والسخاوي في (فتح المغيث) والمتقي الهندي في (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) وعشرات غيرهم لا مجال لذكرهم في هذه العجالة.

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ٤ ص ٤٢٩.

(٢) مستدرك الحاكم: ج ٤ ص ٤٤٢.

(٣) مستدرك الحاكم: ج ٤ ص ٥٥٧.

(٤) مستدرك الحاكم: ج ٤ ص ٥٥٤.

فمثلاً، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب، نقلاً عن الأبري في ترجمة محمد بن خالد الجندي: «وقد تواترت الأخبار، واستفاضت بكثرة روايتها، عن المصطفى صلى الله عليه وآله في المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، ويملاً الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى خلفه»<sup>(١)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على المتقدمين من علماء المسلمين، بل نجد ذلك واضحاً في كتابات المتأخرين أيضاً، حيث صرح أهل التحقيق منهم، بصحة أحاديث المهدي، بل بتواترها، كالشيخ محمد الخضر المصري، والشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، وأبو الأعلى المودودي، وناصر الدين الألباني، والشيخ حمود التويجري، والشيخ عبد العزيز بن باز، وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

(١) تهذيب التهذيب: ج ٩ ص ١٢٥ - ٢٠١.

(٢) نظرة في أحاديث المهدي ص ٨٢٩ - مقال نشرته مجلة التمدن الإسلامي، دمشق ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م؛ محاضرة نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، العدد الثالث، السنة الأولى ١٣٨٨ هـ - السعودية؛ البيانات للمودودي ص ١١٦؛ حول المهدي - مقال - ٦٤٤، نشرته مجلة التمدن الإسلامي ١٣٧١ هـ - دمشق؛ الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: ص ٧٠ - ٧١؛ الاحتجاج بالأثر للتويجري، كلمة التصدير، بقلم ابن باز: ص ٣.

وقال الشيخ منصور علي ناصف في كتابه (التاج الجامع للأصول): «اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً، أنه في آخر الزمان، لا بدّ من ظهور رجل من أهل البيت، يسمّى المهدي، يستولي على الممالك الإسلامية، ويتبعه المسلمون، ويعدل بينهم، ويؤيّد الدين، وبعده يظهر الدجال، وينزل عيسى عليه السلام فيقتله، أو يتعاون عيسى مع المهدي على قتله. وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة، وخرّجها أكابر المحدثين، كأبي داود والترمذي، وابن ماجه...، ولقد أخطأ من ضعّف أحاديث المهدي كلّها، كابن خلدون وغيره»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن باز: «فأمر المهدي معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها... وهي متواترة تواتراً معنوياً، لكثرة طرقها واختلاف مخرجها، وصحابتها، ورواتها، وألفاظها، فهي تدلّ على أنّ هذا الشخص الموعود به، أمره حقّ ثابت وخروجه حقّ»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في معجم أحاديث الإمام المهدي ما يقرب من (٢٠٠٠)

---

(١) التاج الجامع للأصول: ج ٥ ص ٣٤١.

(٢) كلمة ابن باز في آخر محاضرة: عقيدة أهل السنة والأثر، مجلّة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٣٨٨.

رواية) عن رسول الله وأهل بيته تعرّضت لمختلف شؤون المهدي، كالأبحاث المتعلقة بمرحلة ما قبل ظهور المهدي عجل الله فرجه، ثمّ ما يتعلّق بشخصيّته، وحركة ظهوره، وأحداثها، ثمّ ما يكون بعده<sup>(١)</sup>. إذن، فمسألة ظهور المهدي في آخر الزمان، وأنّه من أهل بيته صلّى الله عليه وآله وعترته، وأنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ممّا لا ريب فيها، ولا مجال للتشكيك والتردد إزاءها، وبتعبير الشيخ محمود التويجري: (أنّه لا ينكر خروجه إلّا جاهل أو مكابر)<sup>(٢)</sup>.

### طرق إثبات أنّ الإمام المهدي حيّ

نعم، الأمر الذي وقع الخلاف فيه بين علماء المسلمين، إنّما هو في جهة أخرى من البحث، هي: هل المهدي حيّ؟ ولكنّه غائب مستور، كما ذهب إلى ذلك أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام تبعاً للروايات الصحيحة الواردة عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام، أم سيولد بعد ذلك؟ كما هو الاتجاه العام عند مدرسة الخلفاء.

من هنا لا بدّ أن ينصبّ الحديث على إثبات أنّ المهدي المنتظر حيّ أم لا؟ ويمكن ذكر طريقتين في هذه العجالة لإثبات حياته:

(١) معجم أحاديث المهدي: ج ١ ص ١١، مؤسّسة المعارف الإسلامية.

(٢) الاحتجاج بالأثر: ص ١٢٧.

• **الطريق الأول:** وهو الطريق غير المباشر، إن صحَّ التعبير، وذلك بأن يقال: بعد أن ثبتت ضرورة استمرار وجود معصوم لا يفارق الكتاب ولا يفارقه الكتاب، كما هو نصّ حديث الثقلين، وأنَّ هؤلاء المعصومين لا يتجاوز عددهم (١٢) كما هو مقتضى أحاديث خلفائي من بعدي اثنا عشر وأنَّ هؤلاء هم علي والحسن والحسين وتسعة من صلب الحسين عليهم السلام يتتهون بالمهدي المنتظر، كما هو نصّ عشرات الروايات من الفريقين، إذن يثبت بالدلالة الالتزامية العقلية، أنَّ الإمام الثاني عشر حيَّ يرزق، لكنَّه غائب مستور عن الخلق لحكمة إلهية في ذلك.

ومن الواضح أنَّ هذا الطريق يثبت لنا وجود إمام معصوم غائب، هو المهدي المنتظر ابن الإمام الحسن العسكري الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي عليهم السلام، ولكنَّه لا يتعرَّض لتفاصيل سنة ولادته، وكيفية ذلك، ومن هي أمُّه، ومتى غاب، وهل له غيبة واحدة أم أكثر. إلَّا أنَّ هذا لا يؤثِّر في أصل فكرة إثبات وجوده، وأنَّه حيَّ غائب، لأنَّ الضرورة العقلية وما يلزمها عقلاً تثبت هذه الحقيقة.

• **الطريق الثاني:** وهو الطريق المباشر أي طريق إثبات حياة الإمام الحجة عجل الله فرجه من خلال الروايات الشريفة. ولكي

يَتَّضِحُ ذلكَ جَيِّداً لا بَدَّ من الإشارةِ إلى التسلسلِ الواردِ في الرواياتِ، لإثباتِ هذه الظاهرة الإلهية، وهذا ما أحصاه المحقق الشيخ الصافي الكلبيّكاني في (منتخب الأثر):

١. الروايات التي تبشّر بظهوره عجل الله فرجه: ٦٥٧ رواية.
٢. روايات أنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً: ١٢٣ رواية.
٣. الروايات التي تثبت أنّ المهدي المنتظر من أهل البيت: ٣٨٩ رواية.
٤. الروايات التي تبين أنّه من ولد أمير المؤمنين عليه السلام: ٢١٤ رواية.
٥. الروايات التي تثبت أنّه من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام: ١٩٢ رواية.
٦. الروايات التي تقول إنّّه من ولد الإمام الحسين عليه السلام: ١٨٥ رواية.
٧. الروايات التي تقول إنّّه التاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام: ١٤٨ رواية.
٨. الروايات التي تقول إنّّه من ولد علي بن الحسين عليهما السلام: ١٨٥ رواية.
٩. الروايات التي تقول إنّّه من ولد محمّد الباقر عليه السلام: ١٠٣ رواية.

١٠ . الروايات التي تقول إنّه من ولد الصادق عليه السلام: ١٠٣ رواية.

١١ . الروايات التي تقول إنّه السادس من ولد الصادق عليه السلام: ٩٩ رواية.

١٢ . الروايات التي تقول إنّه من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام: ١٠١ رواية.

١٣ . الروايات التي تقول إنّه الخامس من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام: ٩٨ رواية.

١٤ . الروايات التي تقول إنّه الرابع من ولد علي بن موسى الرضا عليه السلام: ٩٥ رواية.

١٥ . الروايات التي تقول إنّه الثالث من ولد محمّد بن علي التقي عليه السلام: ٩٠ رواية.

١٦ . الروايات التي تقول إنّه من ولد علي الهادي عليه السلام: ٩٠ رواية.

١٧ . الروايات التي تقول إنّه ابن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام: ١٤٦ رواية.

١٨ . الروايات التي تقول إنّه الثاني عشر من الأئمّة وخاتمهم: ١٣٦ رواية.



١٩. في ولادته عليه السلام وبعض حالات أمّه: ٢١٤ رواية.
  ٢٠. في أنّ له غيبتين: ١٠ روايات.
  ٢١. في أنّ له غيبة طويلة: ٩١ رواية.
  ٢٢. في أنّه طويل العمر جدّاً: ٣١٨ رواية.
- ولا شك أنّ روايات بعض هذه العناوين، قد تتداخل مع بعضها الآخر كما هو واضح.

### إشكال وجواب

وقد يثار استفسار بأن الاستدلال بروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام لإثبات إمامة أنفسهم وبيان خصائصها، وعدد الأئمة، وأنّ الثاني عشر حي، ونحو ذلك، إنّما يلزم منه الدور وبطلان هذا الدليل لأنّ حجّة أقوالهم موقوفة على إمامتهم وعصمتهم، والمفروض أنّ إمامتهم متوقّفة على حجّة أقوالهم.

غير إنّ هذا الإشكال يمكن رفعه والإجابة عنه بأمرين:

الأوّل: أنّنا بعد أن ثبتت عصمتهم يمكن الاحتجاج والاستناد إلى أقوالهم لإثبات خصائص إمامة المهدي المنتظر عجل الله فرجه، ولا يلزم محذور في المقام، لاختلاف الموقوف عن الموقوف عليه، فيرتفع الدور.

الثاني: أنّه حتّى لو لم تثبت عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام في الرتبة السابقة، إلّا أنّه يمكن الاعتماد على رواياتهم، وذلك من

خلال أنّهم رواة ثقات عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فتكون حجّية قولهم على حدّ حجّية قول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين قبل المسلمون عامّة، الاعتماد على ما ينقلونه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا أظنّ أنّ أحداً من المسلمين يتوقّف في قبول مثل هذا الأمر بشأن أهل البيت عليهم السلام سواء فيما صرّحوا فيه من الروايات، بأنّهم ينقلونه عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، أو التي لم يصرّحوا فيها بذلك، بل اكتفوا بالقاعدة الكلّية التي بينوا فيها أنّ حديثهم هو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>(١)</sup>.

### طرق أخرى لإثبات حياة الإمام المهدي

ولا يخفى أنّ هناك طرقاً أخرى لإثبات حياته عجل الله فرجه كشهادة من رآه، وهم جمّ غفير، وفيهم الثقات والعلماء، فقد أحصى البعض «عدد من شاهد الإمام المهدي، فبلغوا زهاء ٣٠٤

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧، باب ٨، والكافي: ج ١ ص ٥٣.

شخص»<sup>(١)</sup>. ولعلّ ما فاتّه أكثر ممّا ذكره.

من هنا جاءت اعترافات عدد كبير من علماء السنّة، تبين ولادة المهدي عجل الله فرجه، وقد صرح بعضهم، أنّه هو الإمام الموعود بظهوره في آخر الزمان. وقد أحصى الشيخ مهدي فقيه إيماني في كتابه (المهدي في نهج البلاغة) ما يزيد عن (١٠٠) شخصية، صرّحت بولادته عجل الله فرجه.

وكنموذج على ذلك، ما ذكره العلامة الشعراني الحنفي في كتابه القيم «اليواقيت والجواهر» حيث قال: «فهنالك يترقّب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمسة وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

العقيدة بالمنقذ آخر الزمان عقيدة إسلامية، بل إنسانية عامّة وبهذا تخرج مسألة الإيمان بالإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه وأنّه حي يرزق، عن دائرة اتّهام الشيعة باختلاقها وإيجادها في الفكر

(١) من هو المهدي، أبو طالب التجلي التبريزي: ص ٤٦٠ - ٥٠٥، نقلاً عن

كتاب دفاع عن الكافي، تأليف ثامر هاشم حبيب العميدي: ج ١ ص ٥٦٢.

(٢) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار إحياء التراث العربي، مؤسّسة

التأريخ العربي، بيروت - لبنان: ج ٢ ص ٥٦٢.

الإسلامي، وإنّما هي عقيدة إسلامية عامّة بل العقيدة بالمهدي المنقذ من حيث كونها فكرة تتحدّث عن وصول البشرية إلى مرحلة تعيش فيها الأمن والازدهار التأمين والعدل والمساواة بأبهى صورهما، آمنت بها البشرية جمعاء، حتّى تلك التي تمثّل الفكر الإلحادي بأشدّ صورهِ كالشيوعية كما بيّن ذلك الشهيد محمّد باقر الصدر قدّس سرّه في مقدمة بحثه «بحث حول المهدي».

الفصل الثالث  
في ردّ الإشكالات المثارة  
على الاستدلال بالآية المباركة



## الإشكالات وجوابها

أثير على الاستدلال بهذه الآية الشريفة ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾  
عدة إشكالات نذكر منها:

### ١. في تعيين القول بإتباع الصادقين بأشخاصهم

الإشكال الأول: لماذا يتعين القول بإتباع الصادقين بأشخاصهم  
في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾؟ ولم لا يجوز أن يقال: أن  
المراد كونوا على طريقة الصادقين وسنتهم وسلوكهم، وحينئذ قد  
يصار إلى عدم اشتراط وجود المعصوم في كل زمان؟

والجواب: إن ظواهر الأدلة هي الحجة - على ما حقق في محله - ما  
لم ترد القرائن المتصلة أو المنفصلة الصارفة لها عن ظواهرها. وبناءً  
على هذا نقول: إن إرادة معنى (كونوا على طريقة الصادقين) خلاف  
ظاهر الآية المباركة؛ لأننا نحتاج إلى تقدير كلمة (طريقة) أو (سلوك)  
أو (سنة) من أجل إثبات هذا المعنى، والتقدير خلاف الظاهر.

نعم، بالإمكان أيضاً فيما لو دلّ دليل من الخارج على عدم  
اشتراط وجود الصادق المعصوم في كل زمان لكان بالإمكان أن

نتصرّف في ظاهر هذه الآية وندّعي دلالتها على مثل اتّباع طريقة أو سنّة الصادق لا شخصه.

فتحصّل أنّ المراد من الآية - والله أعلم - هو الظاهر منها، وهو إرادة الكون مع الصادقين لا مع طريقته.

## ٢. اختصاص الآية بزمان الرسول صلى الله عليه وآله

الإشكال الثاني: قد يقال: بأننا بعد قبولنا بأنّ الأمر في الآية الشريفة هو أمر باتّباع شخص الصادق المعصوم، فإننا نرى أنّ الآية مختصة بزمان الرسول صلى الله عليه وآله لا عامّة لكلّ الأزمان، فلا حاجة لوجود المعصوم في كلّ زمان.

والجواب: أولاً: إنّ مقتضى الطبيعة الأولى للأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي أنّها لكلّ فرد ولكلّ زمان ولكلّ مكان. وهذا معنى قولهم (حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة).

فإذا أردنا أن نخصّص الأحكام الشرعية في بعض الأزمنة دون غيرها فإننا نحتاج إلى دليل مخصّص ولا دليل في محلّ كلامنا.

ثانياً: إنّ صيغة الأمر بالكون مع الصادقين الواردة في الآية الشريفة صيغة إطلاق تناولت كلّ الأزمان، والدليل على ذلك صحّة الاستثناء؛ إذ يصحّ أن يستثنى منها الزمان الكذائي أو



الشخص الكذائي، ولما لم يرد الاستثناء استنتجنا الإطلاق، فشملت كل الأزمان ولم تختص بزمان الرسول صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: لما لم يرد لفظ في الآية يدل على إرادة زمن الرسول صلى الله عليه وآله فليس هناك ما يرجح حمل الأمر على زمن دون الأزمنة الباقية، فإما أن لا نحمله على وقت معين وحينئذ يتعطل هذا الحكم وهو باطل، أو نحمله على كل الأزمان وهو المتعين والمطلوب.

### ٣. رفض مصداق الشيعة

الإشكال الثالث: وقد يقال: بأننا حتى لو سلمنا بأن الآية تدل على وجوب اتباع المعصوم، وعلى وجوده في كل زمان من دون اختصاص بزمان الرسول صلى الله عليه وآله، ولكننا لا نقبل بأن يكون مصداق هذا المعصوم هو الإمام المعصوم الذي تقول به الشيعة، بل المراد به هو مجموع الأمة.

والجواب: إننا تعرضنا لمثل هذا الرأي فيما سبق في بحث من هو الصادق، وأجبنا عنه، وغاية ما نريد قوله هنا، هو: أننا إذا تنزلنا وقلنا أن المراد من الصادقين هنا ليس هو إجماع الأمة بل هو إجماع علماء الأمة أو أهل الحل والعقد منهم، فما الدليل على أن المراد هو هؤلاء دون غيرهم؟

هذا أولاً، وثانياً: إن عمدة ما يذكر هنا في مقام الاستدلال على

أنَّ المقصود من الصادقين هو إجماع ما رَوَاهُ عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: «لا تجتمع أُمّتي على الخطأ» أو «لا تجتمع أُمّتي على ضلالة». غير أنَّه بالإضافة إلى إمكان المناقشة في سند هذا الحديث وفي متنه ودلالته على المدّعى، بالإضافة إلى هذا، فإنّنا نمتلك من الأدلّة القرآنية من قبيل ما ذكرناه في بحث (من هم الصادقون؟) ومن الروايات القطعية كحديث الغدير وحديث الثقلين وحديث المنزلة وغيرها ما يثبت أنَّ المراد من الصادقين باعتبارهم المعصومين هم أهل البيت عليهم السلام لا غيرهم.

#### ٤. التكليف بغير المقدور

الإشكال الرابع: وقد يشكّل على من يقول بأنَّ المراد من الصادقين هنا هم أهل البيت المعصومين عليهم السلام، بيان آخر، وهو أنَّ الآية الشريفة قد أمرت كلّ المؤمنين المتّقين بالكون مع الصادقين، وإنّما يكون المؤمن مع الصادق لو كان عالماً به ومشخصاً له، وحيث إنّنا نجهل من هو الصادق؟ ومن هو المعصوم جزماً؟ فلن نقدر على امتثال التكليف باتّباعه، ومن هنا نستنتج بأنَّ مراد الآية إذن ليس هو المعصوم الذي تقول به الشيعة وإلاّ لوجب التكليف بغير المقدور وهو غير جائز.

والجواب: إنّنا نسأل من يدّعي عدم معرفته بالإمام المعصوم عليه

السلام عن الطريق الذي يمكن أن يعرف به الإمام المعصوم عليه السلام؟

أفلا يكفي أن يرفعه الرسول صلى الله عليه وآله في غدير خم حتى يظهر بياض إبطيه، ويقول صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»؟ أفلا يكفي أن يكرّر الرسول صلى الله عليه وآله مراراً حديث الثقلين قائلاً: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله، حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي...»؟

أفلا يكفي أن يضع الرسول صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام تحت الكساء ويقول بمسمع وبمرأى من المسلمين: «اللّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْل بَيْتِي»؟ أفلا يكفي وقوفه صلى الله عليه وآله على باب علي وفاطمة ولا شهر عديدة ويقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟

أفلا يكفي حديث المنزلة وقوله صلى الله عليه وآله لعلي: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي»؟.

أفلا يكفي حديث الطير المشوي؟ أفلا يكفي هذا وعشرات مثله، لكي يعرف المسلمون من هم الصادقون المعصومون بعد النبي صلى الله عليه وآله؟

وماذا كان على النبيّ صلى الله عليه وآله أن يفعله لتعلم الأئمة من هم الأئمة المعصومون من بعده ولم يفعله صلى الله عليه وآله؟

نعم، إلّا أن يقول قائل، إنّ ما ذكر سابقاً ليس بكاف لأننا لا نجد ذكراً لاسم علي وأولاده المعصومين في القرآن الكريم، فلو كانت الآية الشريفة تقول: (إنما وليكم الله ورسوله وعلي والأئمة من بعده)، لكان في ذلك كفاية لنا وحجة علينا.

وللجواب على هذا نقول: أليس من إجماع أئمة محمد صلى الله عليه وآله على ما يقوله الرسول صلى الله عليه وآله يجب الأخذ به وقبوله وطاعته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) لأنه وحى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤)، فماذا فعل المستشكل هنا بحديث الغدير المتواتر الذي يجب الأخذ به والإذعان له على حدّ آيات القرآن، أو لم يسمّ الرسول صلى الله عليه وآله في هذا الحديث علياً باسمه حين قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»؟

أو لم يُصَرّف هذا الحديث - وغيره من الأحاديث - عن ظاهره فقيل بأن المراد من الولاية هنا هي ولاية المحبة والموودة والنصرة؟ فكلّ ما قيل في صرف هذا الحديث عن ظاهره كان سيقال في صرف آية آية يرد فيها ذكر اسم علي عليه السلام، أو أحد الأئمة من ولده

عليهم السلام، عن ظاهرها وتأويلها.

وهكذا يتّضح بطلان دعوى عدم معرفة المعصوم بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لعدم ذكر اسمه في القرآن الكريم أو لأي سبب كان، لأنّ بإمكاننا الرجوع إلى القرآن الكريم وإلى السنّة القطعية من أجل معرفة ذلك، حيث بيّن القرآن الكريم في العديد من الآيات كآية (التطهير) وآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ...﴾ وآية ﴿...وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ وآيات أخرى أنّ هناك معصومين بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أهل بيته عليهم السلام، ثمّ جاءت السنّة النبوية القطعية كما في حديث (الغدیر) وحديث (الثقلين) وحديث (المنزلة) وغيرها لتنصّ على هؤلاء المعصومين ولتشخصهم للأمة تشخيصاً لا لبس فيه أبداً.

والخلاصة، فإنّ جميع الإشكالات في هذا المجال لا تصمد أمام الدليل القائم على إثبات وجود المعصومين واستمرارهم والنصّ عليهم على أنّهم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله.

والحمد لله ربّ العالمين.



## المصادر

١. الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: للتوحيدي، كلمة التصدير، بقلم ابن باز.
٢. إحقاق الحق، تأليف: القاضي الشهيد نور الله التستري.
٣. الأصول العامة للفقه المقارن، مدخل إلى دراسة الفقه المقارن، العلامة محمد تقي الحكيم.
٤. أصول الكافي، تأليف: ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي.
٥. إعلام الوري بأعلام الهدى، تأليف: أمين الإسلام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط. دار التعارف.
٦. إكمال الدين وإتمام النعمة، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
٧. بحار الأنوار، الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف: العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي.
٨. البرهان في تفسير القرآن، تأليف: العلامة المحدث المفسر البحراني.
٩. البيانات للمودودي.

١٠. التاج الجامع للأصول.
١١. تفسير القمّي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي.
١٢. التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي.
١٣. تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
١٤. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، تأليف: الحكيم الإلهي والفيلسوف الرباني صدر الدين محمد الشيرازي مجدد الفلسفة الإسلامية.
١٥. حلية الأولياء.
١٦. حول المهدي، نشرته مجلة التمدّن الإسلامي ١٣٧١ هـ - دمشق.
١٧. دفاع عن الكافي، تأليف ثامر هاشم حبيب العميدي.
١٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٩. سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
٢٠. سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي.
٢١. صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي.
٢٢. الجامع الصحيح، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم



- القشيري النيسابوري، بشرح النووي.
٢٣. الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، تأليف: المحدث أحمد بن حجر الهيتمي المكي.
٢٤. عون المعبود، شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين بن قيم الجوزية.
٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي.
٢٦. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري.
٢٧. متشابه القرآن ومختلفه، تأليف: الشيخ الجليل محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، ط. بيدار.
٢٨. مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٨٨.
٢٩. مستدرک على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي.
٣٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.
٣١. مشكاة المصابيح للتبريزي.
٣٢. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، تأليف ونشر مؤسسة

- المعارف الإسلامية، تحت إشراف الشيخ علي الكوراني.
٣٣. المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
٣٤. المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني.
٣٥. من هو المهدي، أبو طالب التجلي التبريزي.
٣٦. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر.
٣٧. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي.
٣٨. نظرة في أحاديث المهدي، مقال نشرته مجلّة التمدّن الإسلامي، دمشق ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م؛ محاضرة نشرت في مجلّة الجامعة الإسلامية للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، العدد الثالث، السنة الأولى ١٣٨٨هـ السعودية .
٣٩. نهج البلاغة، وهو مجموعة ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيّدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية سابقاً.
٤٠. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تأليف: الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي.
٤١. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار إحياء التراث العربي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان .

# فهرس الكتاب

## المقدّمة

- ٥..... الحاجة إلى بحوث الإمامة حاجة مهمّة ومستمرّة
- ٦..... أثر منهجية بحث الإمامة في اختلاف الأُمّة
- ٧..... فهرسة البحث

## القسم الأوّل

### مناهج بحث الإمامة

- ١١..... منهج البحث

## الفصل الأوّل

### المنهج الكلامي في بحث الإمامة

- ١٥..... تمهيد
- ١٦..... المنهج الكلامي لدى مدرسة الخلفاء
- ١٦..... أ. مسؤوليات ومهامّ الإمام
- ١٧..... ب. شرائط الإمامة
- ١٩..... المنهج الكلامي لدى مدرسة أهل البيت
- ١٩..... أ. مسؤوليات الإمام

١٣٢ ..... مناهج بحث الإمامة

ب. شروط ومواصفات الإمامة ..... ٢٠

نتائج وآثار المنهج الكلامي الإمامي ..... ٢١

بيان مصاديق الإمامة من خلال المنهج الكلامي ..... ٢٣

## الفصل الثاني

### المنهج القرآني في بحث الإمامة

تمهيد ..... ٢٧

أولاً: شرائط الإمامة ..... ٢٨

ثانياً: أدوار ومهام الإمام ..... ٣٢

نتائج وآثار المنهج القرآني ..... ٣٣

الخلاصة ..... ٣٨

## القسم الثاني

### دراسة تطبيقية في المنهج القرآني في الآية

## الفصل الأول

### بحوث مختصرة عامة تتعلق بالآية المباركة

في معنى التقوى ودورها ..... ٤٣

التقوى والكون مع الصادقين ..... ٤٥

معنى التقوى ..... ٤٥

أهمية التقوى ..... ٤٥

فهرس الكتاب..... ١٣٣

معنى (الصدق والصادقين) ..... ٥١

١. المعنى اللغوي والعرفي لهما ..... ٥١

٢. المعنى القرآني للصدق والصادقين ..... ٥٣

المتّقون ومعية الصادقين ..... ٦٣

١. الفرق بين «مع» و «من» ..... ٦٣

٢. معنى المعية في قوله تعالى ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ ..... ٦٥

## الفصل الثاني

### في الاستدلال بالآية المباركة على الإمامة

البحث الأوّل: في الإمامة العامّة ..... ٦٩

١. في كيفية الاستدلال على عصمة الصادق ووجود المعصوم ..... ٦٩

استدلال ابن شهر آشوب والفخر الرازي ..... ٧٢

٢. الاستدلال على استمرار وجود المعصوم في كلّ زمان ..... ٧٣

خلاصة الاستدلال ..... ٧٥

البحث الثاني: في الإمامة الخاصّة ..... ٧٧

أولاً: من هم الصادقون؟ وكيف ثبت ذلك؟ ..... ٧٧

١. ما ورد في كتاب إحقاق الحق ..... ٨٨

٢. ما ورد في تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني ..... ٩٠

الخلاصة ..... ٩١

ثانياً: عدد الأئمّة اثنا عشر إماماً ..... ٩٢

١٣٤ ..... مناهج بحث الإمامة

٩٥ ..... خصائص الروايات

٩٦ ..... ثالثاً: تعيين أسماء الأئمة

٩٩ ..... إشكال وجواب

١٠٥ ..... رابعاً: الإمام الثاني عشر هو الحجّة بن الحسن المنتظر

١٠٩ ..... طرق إثبات أنّ الإمام المهدي حيّ

١١٣ ..... إشكال وجواب

١١٤ ..... طرق أخرى لإثبات حياة الإمام المهدي

١١٥ ..... العقيدة بالمنقذ آخر الزمان عقيدة إسلامية بل إنسانية ..

### الفصل الثالث

#### في ردّ الإشكالات المثارة على الاستدلال بالآية المباركة

١١٩ ..... الإشكالات وجوابها

١١٩ ..... ١. في تعيين القول بإتباع الصادقين بأشخاصهم

١٢٠ ..... ٢. اختصاص الآية بزمان الرسول صلى الله عليه وآله

١٢١ ..... ٣. رفض مصداق الشيعة

١٢٢ ..... ٤. التكليف بغير المقدور

١٢٧ ..... المصادر

١٣١ ..... فهرس الكتاب